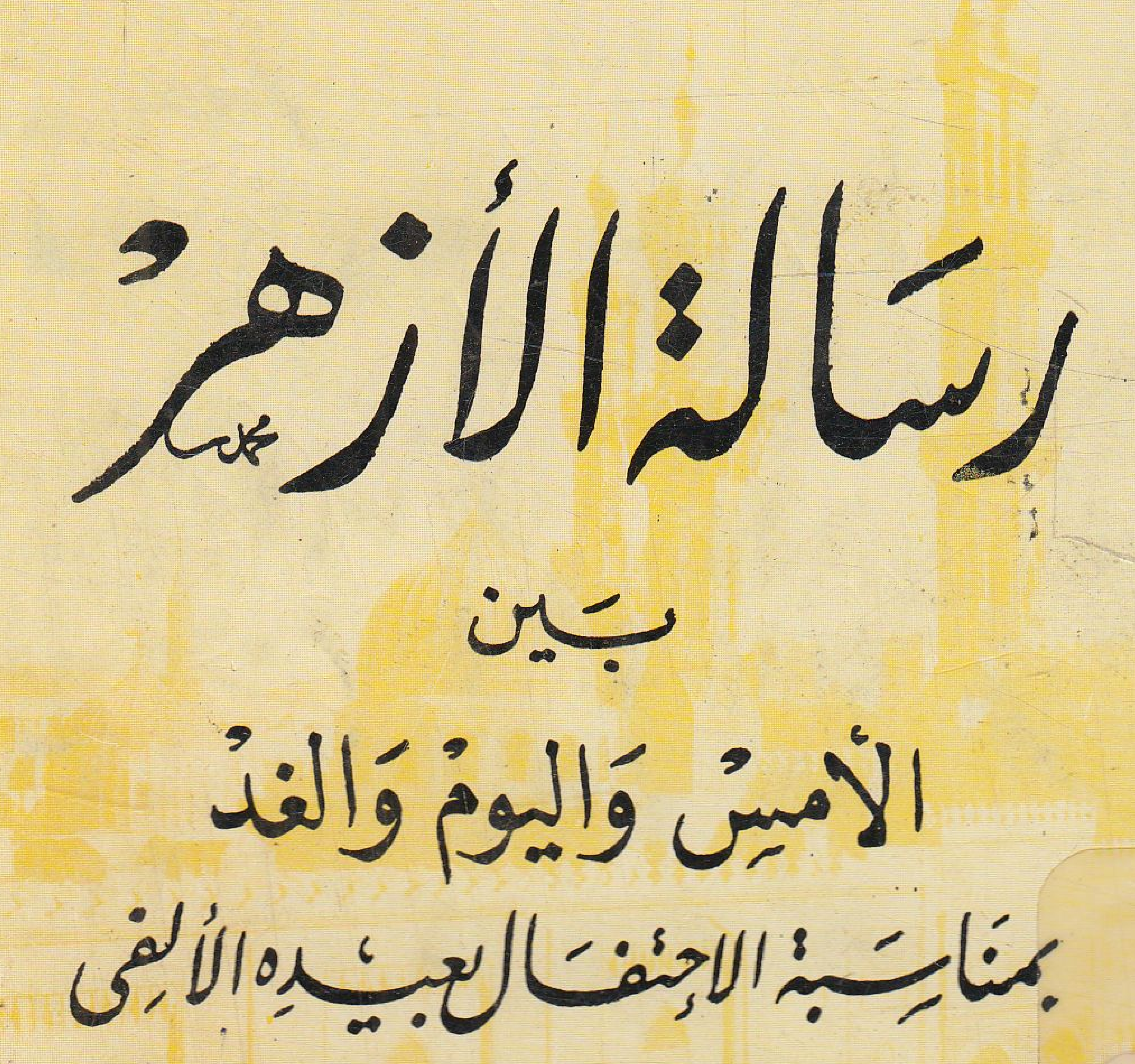
الدكتور يوسف القرضاوي

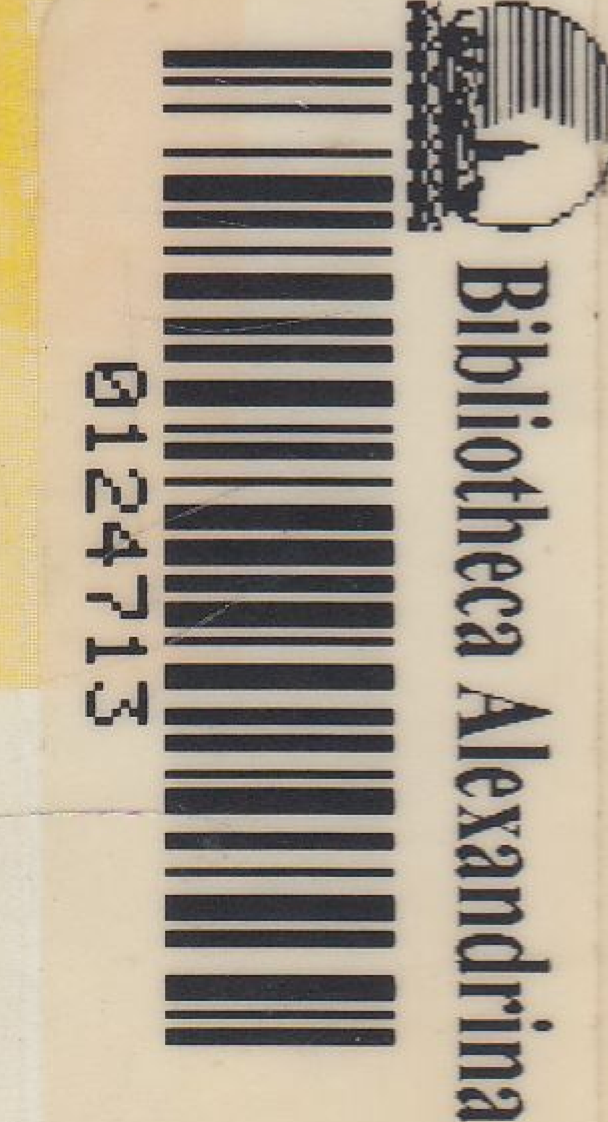


رسالة الأزهر

بين الأمس واليوم والغد

بمناسبة الاحتفال بعيده الألفي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠



الدكتور يوسف القرضاوي

رسالة الأزهر

بين

الأمس واليوم والغد

بمناسبة الاحتفال بعيده الألفي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحببت الأزهر منذ صباى المبكر ، وشغفت به ، وتمنيت أن أكون واحدا من علمائه . فقد كان الأزهر فى نظرى معقل الدين والعلم . وعلى أيدى علمائه فى قريتنا ، يتعلم الجاهلون ، ويهتدى الحائرون ، ويتوب العاصون .

ولما حفظت القرآن الكريم بعد التاسعة بقليل ، ظللت أترقب اليوم الذى أدخل فيه معاهد الأزهر ، لأتعلم فيه الدين اللغة والأدب ، وأقدر على الخطابة والتدريس والوعظ ، مثل مشايخ قريتى الذين سمعتهم فى صغرى وتأثرت بهم : الشيخ أحمد محمد صقر ، والشيخ أحمد عبد الله ، والشيخ البتة رحمهم الله جميعا ، والشيخ عبد المطلب البتة حفظه الله .

وحين قدر الله لى دخول الأزهر ، مبتدئا بمعهد طنطا الابتدائى ، ومثنيا بمعهدها الثانوى ، ومثلثا بكلية أصول الدين ، ثم بأجازة التدريس .. كنت مهتما بكل ما يصلح الأزهر ، ويرفع شأن أبنائه ،

وينهض بهم فى أداء رسالتهم التى هى رسالة الاسلام ، ويزيل المعوقات من طريقهم ، حتى يقوموا بمهمتهم خير قيام .

فكنت أحضر وانا طالب فى القسم الابتدائى ــ المعادل للاعدادى الآن ــ مع طلاب القسم الثانوى ، ممثلا لزملائى ، فى المناداة بمطالب الأزهريين ، ومساواتهم بغيرهم من خريجى الجامعات المصرية .

وفى المرحلة الثانوية شاركت فى عدة مؤتمرات عقدناها فى طنطا وفى غيرها من عواصم المديريات (المحافظات) ، حضرها ممثلون عن المعاهد الدينية فى أنحاء المملكة المصرية (لم تكن الجمهورية قد نشأت بعد) حددنا فيها مجموعة من المطالب ، ونقلناها الى المسئولين بالأزهر وبالحكومة . اذكر منها :

١ ــ ادخال اللغة الانجليزية الى معاهد الأزهر .

٢ ــ فتح باب الكليات العسكرية والمدنية أمام حملة الثانوية الأزهرية .

٣ ــ فتح معاهد دينية للبنات فهن نصف المجتمع ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

٤ ــ اتاحة الفرصة للمتفوقين باعادة فتح باب الدراسات العليا ، وتعيين معيدين بكليات الأزهر .

٥ ــ اعادة النظر فى المناهج والكتب الدراسية .

ولم نكن نكتفى بعقد المؤتمرات ، ورفع المطالب والتوصيات ، بل كنا احيانا نقيم المظاهرات ، أو ندعو الى الاضراب . وكثيرا ما جعلنا هذا نصطدم بالشرطة ، ونبيت فى « الأقسام » ونتعرض للايذاء من اجل الأزهر .

وفى المرحلة الجامعية تبلورت المطالب وتحددت أكثر من قبل . وقد التقينا مع عدد من المسئولين فى الأزهر للحوار حول هذه القضايا : فكان منهم المتجاوب الى اقصى حد ، كالمغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين . ومنهم من لم يعر هذه التطلعات بالا ، واعتبرها امانى بعيدة المنال .

ولازلت أذكر آخر مؤتمر عقدناه — وأنا طالب فى تخصص التدريس سنة ١٩٥٣ — فى ساحة كلية الشريعة بالدراسة ، حضره أبناء الكليات الثلاث ، ومعهد القاهرة ومعهد البحوث ، وتحدثت فيه طويلا عن مطالبنا وتطلعاتنا الدينية والعلمية والأدبية والاجتماعية .

وأذكر أننى ابتدأت هذا المؤتمر الحاشد بقصيدة لا زال اخوانى الأزهريون يحفظون بعضها ، ويذكروننى بها اذا لقونى . ولم اعد احفظ منها الا ابياتا قليلة ، لقد ضاعت فيما ضاع فى أتون المحن المتتابعة التى ابتليت بها مصر ، ودعاة الاسلام فيها .

من هذه الأبيات :

صبرنا الى أن مل من صبرنا الصبر !

وقلنا : غدا أو بعده ينجلى الأمر !

فكـان غـد عاما ، ولو مـد حبلـه

فقد ينطوى فى جوف هذا الغد الدهر !

وقلنا : عسى أن يدرك الحق أهله

فصاحت «عسى» من «لا»و«لا» طعمها مر !

وماذا علينا بعـد أن فار مرجـل

من الغيظ والآلام يغلى به الصدر ؟ !

سددنا بطول الصـبر منا صمامه

فزادت عليه النـار ، فانفجر القدر !

وفى هذه الفترة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ — بعد أن أوقفت معارك القناة ، التى شارك فيها الأزهر بكتيبته التى ذهبت الى الشرقية ، واحتفل بها فى قاعة الشيخ محمد عبده بالدراسة فى يوم من أيام الأزهر الخالدة — عدنا الى القاهرة لنوجه عناية أكبر الى اصلاح الأزهر من داخله ، وبعث الحيوية فى كلياته ، ومعاهده ، ليتبوأ مكانه فى قيادة الأمة تحت لواء الاسلام كما كان من قبل .

وبعد تفكير وبحث وحوار ، قررنا أن ننشىء لجنة سميناها « لجنة البعث الأزهرى » .

وليسـمح لى القارىء أن أنقل له هنا أهداف هـذه اللجنة ووسائلها كما وجدتها فى أوراقى القديمة .

لجنة البعث الأزهرى

مجموعة من شباب الأزهر آمنوا بربهم ورسالتهم وآلوا على أنفسهم أن يرفعوا صرح الأزهر عاليا أو يموتوا تحت أنقاضه .

● أهدافها :

١ ـ المساهمة فى ايقاظ الوعى الاسلامى وتكوين جيل جديد يفقه الاسلام ويعمل به ويجاهد فى سبيله .

٢ ـ جمع أبناء الأزهر من خريجيه وطلابه حول هذا الهدف الرفيع .

٣ ـ اصلاح أوضاع الأزهر ومناهجه اصلاحا شاملا يمكنه من حمل رسالة القرآن الى العالم الاسلامى والعالم الانسانى .

٤ ـ تأمين مستقبل الثقافة الاسلامية المهددة ، وايجاد الينابيع الدائمة التى تصب فى الأزهر ، وذلك بتقرير حفظ أجزاء من القرآن فى مدارس الدولة ، وتكثير جمعيات التحفيظ وضمها الى الأزهر .

● وسائلها :

١ ـ تنبيه الرأى العام فى داخل الأزهر وخارجه الى رسالة الاسلام ، وقضية الأزهر ، ذلك عن طريق القاء المحاضرات وتنظيم الندوات ، وطبع الرسائل والنشرات .

٢ ـ اعداد المراجع والتشجيع على البحث للناضجين من شباب الأزهر ليتخصصوا فى شعب الثقافة الاسلامية المختلفة .

٣ ـ العمل على اصدار مجلة دورية تنطق باسم شباب الأزهر .

٤ ـ العمل على أن يكون قادة الأزهر وموجهوه من الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله .

* * *

وقد كلفنى الاخوة الزملاء مؤسسو اللجنة (١) أن أبدأ بكتابة الرسالة الأولى من رسائلها ، المعرفة بها ، والمعبرة عن مهمتها .

ولم تكن أمامى الا الاستجابة لهذه الرغبة وكتبت رسالة بعنوان « رسالتكم يا أبناء الأزهر » ولازلت أذكر أنى عرضتها على الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى ليقرأها ويبدى ملاحظاته عليها ، فأجاب ذلك مشكورا ، وقرأها ، وقال عنها ، انها من أمتع ما قرأت ، فكرة وعاطفة وأسلوبا . وعرضتها كذلك على الداعية المفكر الأستاذ عبد العزيز كامل ، فسر بها كثيرا ، ولكنه نصحنى بأن أخرج أحاديثها ، حتى تأخذ الصيغة العلمية .

وتمت الرسالة وذهبت بها الى المطبعة ، وذلك فى أواخر سنة ١٩٥٣ ، ولكن أحداثا قاهرة حدثت فى أوائل سنة ١٩٥٤ ، انتهت بنا الى معتقل العامرية ، ثم الى السجن الحربى ، فتوقفت

---

(١) أذكر منهم الاخوة : أحمد العسال ، وعلى عبد الحليم ، ومحمد الراوى ، ومحمد الصفطاوى ، وحسن الشافعى ، ومحمد عبد العزيز خالد ، ومحمد الدمرداش مراد وغيرهم ممن قضى نحبه وممن ينتظر .

عمل اللجنة ، كما توقف طبع الرسالة ، واستردتها بعد ذلك من المطبعة .. وظلت مطمورة ضمن أوراقى التى سلمت من الضياع فى المحن المتتابعة التى لحقت بدعاة الاسلام فى مصر .

وحين بعث الى الأخ الأستاذ الحسينى ابو هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية والأخ الدكتور عبد الودود شلبى ، المشرف على العدد التذكارى لمجلة الأزهر بمناسبة عيده الألفى ، بطلب كتابة مقالة عن الأزهر فى هذا العدد ، رجعت الى اضابيرى ، لأجد الرسالة القديمة مكتوبة بخط الأخ الكريم الشاعر الأديب الأستاذ محمد حوطر ، الذى طالما سجل بقلمه احاديثى وخطبى بمدينة المحلة الكبرى .

ولقد وجدت أن فى الرسالة أفكارا ومعانى يجب أن تنشر من جديد ، وان كانت تحمل حرارة الشباب وحماسة المتوقد . كما رأيت أن أعمل فيها يد التهذيب والاضافة والحذف والتعديل ، وان بقيت فى جوهرها كما كانت قديما .

ومما حذفت منها مقدمتها : لأن شدتها لم تعد مناسبة للأوضاع ، كما حذفت بعض المباحث لعدم ملاءمتها لما جد من أحوال ، ولأن بعض ما نادت به قد تحقق فيما بعد .

وقد أعجبنى فيما قرأته منها الاهداء فى الصفحة الأولى ، وكانت صيغته هكذا :

الى كل مسلم يعنيه مستقبل الأزهر ..

والى كل أزهرى يعنيه مستقبل الاسلام ..

والى كل عاقل يعنيه مستقبل الانسانية ..

أهدى هذه الرسالة ...

عسى أن يتحرك المسلمون لتجديد رسالة الأزهر

وعسى أن يتحرك الأزهريون لتجديد رسالة الاسلام

وعسى أن يتحرك العقلاء لانقاذ سفينة الانسانية

كما أعجبنى من تلك الرسالة خاتمتها المتوثبة توثب الشباب فى كاتبها وفيمن وجهت اليه ، ولا بأس أن أسجلها هنا كما وجدتها للتاريخ :

القضية الكبرى

« حذار يا شباب الأزهر أن تشغلنا قضيتنا الصغرى : قضية الأزهر ، عن قضيتنا الكبرى : قضية الاسلام . الذى تألب المتألبون عليه ، وافترق خصومه على أمور شتى ، ولكنهم اجتمعوا على محاربته والكيد له ، والتربص بأهله ، والتعدى على حرماته ، وبات يعانى الآلام ، ويشكوا الجراح من اليهودية العالمية ، والشيوعية الدولية ، والصليبية الغربية ، والنزعات القومية ، والشهوات الحزبية ، والموجات الالحادية ، والاباحية .

واصبحت بلاد الاسلام نهبا مقسما فى أيدى أعدائه ، يستنزفون خيراتها ويمتصون دماءها ، ويوجهونها وجهتهم التى يريدون .

كم صرفتنا يــد كنا نصــرفها
وبــات يملكنا شعـــب ملكناه

أنى اتجهت الى الاسلام فى بلد
تجده كالطير مقصوصــا جناحاه

واجبنا مضاعف

● **يا ابن الأزهر :**

اذا كان بعض الناس يشعر بواجبه مرة واحدة فى هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة من تاريخنا فعليك أن تشعر بواجبك أربع مرات :

● **أنت يا أخى مسلم :**

والمسلم يعيش فى هذه الحياة لهدف أسمى ، ورسالة عظمى ، لخصها الله تبارك وتعالى فى كتابه بقوله : ((**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم**)) (1)

فالمسلم فى المحراب عابد خاشع ، راكع ساجد .
وفى المجتمع بار خير ، منتج نافع .
وفى ميادين الكفاح بطل مجاهد ، وجندى مناضل .

---

(1) الحج : ٧٧ ، ٧٨ .

فاياك أن تظن نفسك كما مهملا ، وسطرا مطموسا ، فانما أنت منفذ أحكام الله فى الأرض ، ووارث رسالات النبيين ، وحامل هداية الله الى العالمين .

اختصك الله باعظم كتاب أنزل ، وافضل نبى أرسل ، واكمل دين شرع « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١) .

● وانت يا اخى شاب :

والشباب حيوية هائلة ، وطاقة جبارة ، فان الذى خلق الشمس وأودعها الضياء وخلق النار وأودعها الحرارة ، وخلق الحديد وأودعه الصلابة ، خلق الشباب وأودعه الحيوية والعزيمة . ولو نظرت الى التاريخ لرأيت الكثير من أعلام الهدى ، وأنصار الحق كانوا شبابا :

كان اتباع موسى شبابا **«فما آمن لموسى الا ذرية من قومه»** (٢) .

وكان أهل الكهف شبابا « **نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** » (٣) .

---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) يونس : ٨٣ .
(٣) الكهف : ١٣ .

وكان من أصحاب الرسول ﷺ شباب ، تقدموا الصفوف ، وهل فينا من يجهل مثل على ، وأسامة ، ومعاذ ؟ .

ومن الشباب فى الصدر الأول من كان يحمل راية العلم فى السلم وراية الجهاد فى الحرب .

حفظ الشافعى القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطا وهو ابن عشر ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة ، وصحح عليه الأصمعى أشعار البدويين وهو شـــاب .

ومما يفخر به تاريخ الشباب أن قائد الكتائب الاســـلامية لفتح الهند التي تحوى الآن أكبر دولة اسلامية « باكستان » لم يكن الا شابا فى السابعة عشر الا وهو « محمد بن القاسم » الثقفى الذى قال عنه الشاعر :

ان الســـماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاســـم بن محمـــد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤددا من مولد

فاذا اعتذر الشيوخ لضعف القوة ، وغلبة اليأس ، وابيضاض الرأس ، وادبار الحياة ، فما لك من عذر .

● **وأنت يا أخى مثقف :**

قد رشفت من رحيق الثقافة ، واستنار عقلك بنور العلم ، وللثقافة ضريبة لابد أن تدفع ، وللعلم زكاة لا مفر أن تؤدى ،

فعليك أن تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتنشر الوعى ، وتأخذ بيد الحائر .

واعلم أنك اذا قصرت فلن تجد من يعذرك ، والجاهل قد يعذر اذا قصر ، فأفقه ضيق ، ونظره قريب ، وعلمه محدود .

وقد قال شوقى : « الجاهل غريب فى وطنه ، مقبور فى بدنه ، رافل فى كفنه » .

أما الذى نور الله بصيرته بالعلم ، فمسئوليته أكبر ، وعذره أقل .

العلم فضيلة توجب لصاحبها رفعة فى الدنيا والآخرة ، وهو كذلك تبعة توجب عليه مسئولية أمام الله والناس ، وفى الحديث « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » .

● وانت يا اخى ازهرى :

من الله عليك فحفظت كتابه الكريم ، وهداك الى معهد تدرس فيه لغة القرآن وأصول الاسلام ، وعلوم الشريعة ، فأنت — لو علمت — وارث الأنبياء ، وهمزة الوصل بين الأرض والسماء ، تؤدى أمانة العلم ، وتبلغ رسالة الله — رسالة محمد ﷺ — رسالة الاسلام .

فعليك ما على أصحاب الأمانات الكبرى من اعباء ثقيلة ، وواجبات جمة ، فالهدف بعيد ، والسفر طويل ، والحمل ثقيل ، وقطاع الطريق كثير ، والسبيل محفوفة بالأشواك ، مملوءة بالعقبات .

عليك أن تزيل الغشاوى من العيون لترى ، والسداد عن الآذان لتسمع ، والأكنة عن القلوب لتفقه ، مستعينا بالله متوكلا عليه ، معلنا فى الناس **((ففروا الى الله ، انى لكم منه نذير مبين))** (١) .

ومعك الضياء الذى لا يخبو ، والدليل الذى لا ينحرف . كتاب الله ((من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم)) .

● **يا ابناء الأزهر :**

أنتم مسلمون ، فعليكم واجب عظيم بقدر هدى العقيدة التى تميزكم عن الضالين .

وأنتم شباب . فعليكم واجب ثان بقدر الحيوية والحرارة التى تميزكم عن الشيوخ المحطمين .

وأنتم طلاب علم . فعليكم واجب ثالث بقدر الثقافة التى تميزكم عن الجاهلين .

---

(١) الذريات : ٥٠ .

وأنتم حملة رسالة الاسلام فعليكم واجب رابع بقدر الدراسات الاسلامية التى تميزكم عن المدنيين .

● **والآن .. يا أخى الأزهرى :**

ان مجدنا فى الأولى والآخرة مرتبط بالعمل للاسلام ، ونحن ان لم نكن به لم نكن أبدا بغيره ، وهو ان لم يكن بنا كان بغيرنا ، وقد نمنا زمنا طويلا فقيض الله للدين أفراد وجماعات نفضت عنه غباره ، وذادت عن حياضه ، ونشرت تعاليمه ، وأحيت فى النفوس الأمل فى سيادته .

ولولا نهوض فى غفلة الأزهر لكانت العاقبة تسوء المؤمنين وتسر الكافرين .. ولكن دين الله أعز عبده من أن يتخلى عنه ويتركه بلا دعاة وجنود .

فالبدار البدار يا أخوة .

والعمل العمل للاسلام .

فان العالم الاسلامى الآن يجتاز مرحلة دقيقة من حياته ، وشبابه المؤمن فى كل قطر يعمل جاهدا من أجل دينه .

وعلينا أن نقوم بواجبنا الكامل فى هذا الجهاد ، وأن نشعل مصابيح الهدى فى ليل الشك الذى أطبق على المسلمين ظلامه . لا ننتظر جزاء ، الا من الله الذى لا تضيع عنده الودائع ، رابطين حاضرا متحفزا بماض مجيد ، متطلعين الى غد مزهر ومستقبل مظفر .

● **يا شباب الأزهر :**

تستطيعون ان تكونوا قوة دافعة لهذا الركب المؤمن ، وصوتا عاليا يجمع هذه القلوب على كلمة سواء ، وادلاء أمناء لهذه القوافل التى يحدو بها الايمان الى ربها .

ففى رحاب الأزهر صورة مصغرة للجامعة الاسلامية ، وميدان يجب أن تصنع فيه النماذج الاسلامية الكريمة .

فاذا انتشرت فى قراها وأقطارها كانت خير عنوان للاسلام واستطاعت بعزم وعلم وعمل أن تحول الآمال الى حقائق والفرقة الى وحدة والتخلف الى سبق بعيد .

هذه مهمتنا التى ندبنا أنفسنا لها ، وينتظرها منا مجتمعنا ، ويحاسبنا عليها ربنا .

فاعملوا .. فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وان توليتم ... يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

يوسف القرضاوى

* * *

رسالة الأزهر
بين
الأمس واليوم والغد

من حق الأزهر على نفسه ، ومن حق الاسلام والمسلمين عليه ، أن يقف — وهو يحتفل بعيده الألفى — وقفة تأمل ومراجعة هادئة هادفة ، ينظر فيها الى تاريخه الحافل ، والى حاضره الماثل ، والى مستقبله المنشود . وذلك ليعرف موقعه من المجتمع ، ومكانه من الأمة ، ووظيفته فى العالم ، حتى يعد لذلك نفسه ويهيىء لها أبناءه .

وكان علينا ازاء ذلك أن ننظر الى أنفسنا والى العالم من حولنا ، لنعرف مدى الحاجة الى رسالة الأزهر — عالميا واسلاميا وعربيا — وماذا يمكن أن يؤديه من دور .

● **عالم اليوم فى حاجة الى منقذ :**

العالم الآن يعيش فى قلق : يمسى فى ترقب ، ويصبح فى خوف .. الحرب الثالثة يمكن أن تقوم فى لحظة من لحظات فقدان التوازن .. القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ الموجهة تهدد الانسانية بالفناء .. القنبلة الواحدة من القنابل الحديثة تعادل كل ما ألقى على ألمانيا من مدمرات فى الحرب العالمية الثانية ، بل تزيد ... الصراع بين المعسكرين : الشرقى والغربى صراع حقيقى ان

اختفى شبحه وراء المجاملات وسياسة الوفاق حينا ، فانه يظهر علـى حقيقته فى كثير من الأحيان .. آلاف الملايين من الدولارات والروبلات والجنيهات والفرنكات وغيرها من العملات ، من ميزانيات الدول تنفق فى الشئون العسكرية والحربية ، أى فى الاستعداد للموت والخراب ، على حين يهدد الموت شعوبا بأسرها فى البلاد الأفريقية والآسيوية لما تعانى من الجوع ، أو من سوء التغذية . فقد أثبتت أحدث الاحصاءات : أن ٦٠٠ مليار من الدولارات فى سنة ١٩٨٢ صرفت على التسليح والشئون الحربية ، بزيادة ٩٪ عن سنة ١٩٨١ ، على حين مات فى العالم الثالث ٥٠ مليون انســان من الجوع ! .

المجامع الدولية : هيئة الأمم المتحدة .. مجلس الأمن .. محكمة العدل .. لم تستطع ايجاد سلام حقيقى بين الأمم ، ولا نشر الأمن العالمى ، ولا اقرار العدل بنصرة الحق والحرية ، ومعاونة الشعوب الصغيرة ، ووقف مطامع الدول الكبرى ، وتقليم أظافر الاستعمار والصهيونية .. ولا زالت دولة مثل اسرائيل تعربد وتدمر ، برغــم قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن .

العلم الحديث والحضارة المادية والاكتشافات الجبارة لم توفر للانسان الراحة والهدوء والطمأنينة والاستقرار .. وان وفرت له وسائل الرفاهية والمتعة المادية ، لم توفر له الأمن فى النفس ، ولا الأمن فى البيت ، ولا الأمن فى المجتمع ، ولا الأمن فى العالم الكبير . لقد استطاع العلم أن يصعد بالانسان الى سطح القمر ، ولكنه عجز أن يهيىء له السعادة على ظهر الأرض ! الغرب الذى ملك

أزمة التكنولوجيا يشـــكو من الفراغ الروحى ، والقلق النفسى ، والاضطراب الأمنى ، والتخبط الاجتماعى ، والتفسخ الأسرى ، والتحلل الخلقى . وما ظاهرة « الهيبز » وماشاكلها الا نتيجة لهذا الفراغ والاضطراب ، فهى ثورة على الحضارة المادية الآلية ، التى تيسر للانسان المادة وتسلبه الروح ، ولا يشعر معها الا بتفاهة الحياة ، وخلوها من أى معنى أو رسالة .

ولقد قال بحق أحد الأمريكيين المعاصرين : اذا لم نكن واعين ، فسيذكرنا التاريخ على أننا الجيل الذى رفع انسانا الى القمر ، فى حين هو غائص الى ركبتيه فى الأوحال والقاذورات !! .

ما أشبه الليلة بالبارحة !! ما أشبه العالم اليوم بالعالم قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ! كان العالم قبل البعثة تتنازعه دولتان كبيرتان : دولة الفرس الكسروية فى الشرق ، ودولة الروم القيصرية البيزنطية فى الغرب ، وعالم اليوم تتنازعه الكتلة الشرقية والكتلة الغربيـــة : الروسيا الشيوعية ومن يـــدور فى فلكها من جانب ، وأمريكا الراسمالية ومن يحطب فى حبلها من جانب آخر .

كان العالم قبل البعثة تسـوده الجاهلية العمياء : جاهلية العقائد الباطلة ، والأخلاق المنحرفة ، والتقاليد الفاسدة ، والنظم الجائرة ، والسياسات المستبدة .

وعالم اليوم تسـوده جاهلية جهلاء .. جاهلية على الطراز الحديث : أسوأ مخبرا وان كانت أبهى منظرا .. جاهلية المادة التى تغفل الروح .. والدنيا التى تنسى الآخرة .. والعقل الذى ينكر

القلب .. والغريزة التى تغلب العقل .. والأثرة التى تطغى على الايثار ، والفوارق التى تبغى على الأخوة .. والقوة التى تسطو على الحق .. والشهوة التى تهزم الفضيلة ! عالم اليوم كعالم الأمس ، عالم ما قبل الاسلام : شبح بلا روح ، وصورة بلا حقيقة ، ومبنى بلا معنى ، وبناء بلا اساس ، وسراج بلا زيت !! وما ذلك الا انه دنيا بلا دين ، وعلم بلا ايمان ، وانسان يحيا بغير معانى الانسان ! « **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** » (١)

عالم اليوم على شفا حفرة من النار ، فمن ينقذه منها ؟ من يكون « رجل المطافىء » الذى يمسك بخرطومه ، ليطفىء النار قبل أن يتطاير شررها ، ويتفاقم خطرها ، ويكون وقودها الناس والعمران .

* * *

● **مهمة العالم الاسلامى :**

البشرية فى حاجة عارمة أن تلقى بزمامها الى أمة ذات رسالة وذات دين يطفىء سعارها المادى ، ويروى ظمأها الروحى ، ويملأ فراغها العقائدى ، ويخلصها من أخطار القلق الفكرى ، والصراع النفسى ، والاضطراب الاجتماعى ، والتناحر السياسى ، والتنافس الحربى .

ترى من تكون هذه الأمة التى يشرئب اليها عنق الزمن ، ويرنو اليها بصر التاريخ ؟ .

---

(١) الروم : ٤١ .

انها لابد أن تكون أمة ذات دين ..

مستحيل أن تكون أمة اليهود ! والتوراة المحرفة بما فيها من كذب على الله ، وافتراء على أنبيائه ، والتلمود بما فيه من تعاليم همجية ، وأحكام غير أخلاقية ، تستبيح كل ما عدا اليهود : دماء وأعراضا وأموالا **« ليس علينا فى الأميين سبيل »** (١) ... لا يصلحان نبعا لهداية العالم الحائر .

واليهودية ليست دين امتداد وانتشار ، والعنصرية بارزة فى هذا الدين الذى يجعل من بنى اسرائيل « شعب الله المختار » ويجعل رب الناس « رب اسرائيل » لا غير !! واليهودية خالية من الدفعة الروحية التى تحتاج اليها البشرية اليوم ، واليهود أبعد الناس أن يكونوا جيش الخلاص وسفينة الانقاذ للعالم .

ان الشعب المتمرد على أنبيائه « الصلب الرقبة » كما عبر كتاب اليهود نفسه : « التوراة » ! .

و « خراف بنى اسرائيل الضالة » و « أبناء الأفاعى » كما عبر الانجيل ! .

وقتلة الأنبياء ممن **« لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت »** (٢) . كما عبر القرآن ! .

---

(١) آل عمران : ٥٧ .

(٢) المائدة : ٦٠ .

ومصدر القلاقل والفساد فى الأرض ، فى شتى البقاع ، كما عبر التاريخ ! .

وجرثومة الفتن والاضطرابات فى العالم شرقيه وغربيه ، كما يعبر الواقع .

هؤلاء لا يمكن ان يكونوا حملة رسالة الهداية والانقاذ للبشرية المعذبة . ففاقد الشيء لا يعطيه .

أجل .. فهم عبدة المال ، وسدنة الربا ، وتجار الحروب ، وسماسرة الموت ، وهم وراء كل فساد وشذوذ واضطراب فى دنيا الناس . وان ما فعلوه فى فلسطين مع أهلها العرب من قبل ، وما فعلوه فى بيروت وصبرا وشاتيلا من بعد ، لأنصع برهان على أنهم أبعد الناس عن حمل رسالات الله .

ولا يمكن أن تكون أمم المسيحية .

فالعالم الذى تسوده المسيحية وتحرك أزراره أصابع الكنيسة المختفية ، هو صاحب الزعامة العالمية منذ قرون ، ولكنه أفلس فى اشاعة الحق والخير ، واقرار المحبة والسلام ، وارساء قواعد الأمن والايمان .

العالم المسيحى حكم الدنيا بروح صليبية لا بروح مسيحية ... وفرق كبير بينهما : المسيحية عنوانها المحبة والمسامحة ، والصليبية عنوانهـا الحقد والتعصب ! المسيحية تقول : من ضربك علـى

خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن سخرك لتسير معه ميلا ، فسر معه ميلين ، ومن سرق قميصك فأعطه ازارك ! والصليبية تقول : من فتح لك بابه فادخل داره ، واسرق متاعه ، وأفسد عليه زوجته وأولاده ، ومن لم يفتح لك الدار ، فاكسر الباب او انقب الجدار !! .

على أن المسيحية نفسها — بعيدة عن الصليبية — لا تستطيع أن تكون قوة حقيقية تواجه الأفكار المادية الجديدة ، « فهى ديانة فردية انعزالية سلبية ، لا تملك الحياة أن تنمو فى ظلها النمو الدائم الفعال . ولقد أدت المسيحية دورها المحدود فى حياة البشرية ، ثم عجزت عن مسايرة الحياة العملية فى الأجيال المتلاحقة ، لأنها جاءت لفترة زمنية محدودة بين اليهودية والاسلام ، فلما استمسكت بها أوروبا لظروف تاريخية معينة ، وعجزت عن مسايرة الحياة المتطورة ، انعزلت فى المعبد وفى الوجدانات الفردية ، ولم تسيطر على الحياة الدافقة ، لأنها لا تملك قوة الاستمرار والتطور والنماء .

والمسيحية لا تستطيع — بغير تمحل — أن تجارى النظم الاجتماعية والاقتصادية الدائمة التطور ، لأنه ليس فى صميمها أية فكرة عن الحياة الواقعية العملية (١) .

ولقد تمردت العقلية العلمية بالأمس على المسيحية لوقوفها

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية فى الاسلام للشهيد « سيد قطب » .

فى وجه التفكير العلمى ، والاكتشاف العلمى ، وهو الأمر الذى انتهى بفصل الدولة فى الغرب عن الدين ، وهو ما عرف باسم « العلمانية » . واليوم تتمرد العقلية اللاهوتية نفسها على العقيدة الرسمية المسيحية الموروثة ، عقيدة « تأليه المسيح » فقد أصدر ستة من كبار القساوسة عندهم كتابا أنكروا فيه ألوهية المسيح ، وأثبتوا فيه أنه ليس الا انسانا مرسلا من الله تعالى ، وهو عين ما قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

لم يبق الا أمة الاسلام ، وعالم الاسلام .

الأمة الاسلامية هى صاحبة الدور التالى على مسرح التاريخ : هى صاحبة الرسالة المقبلة ، رسالة انقاذ البشرية من الغرق .

الأمة الاسلامية وحدها هى صاحبة الرسالة الربانية الانسانية العالمية العامة الخالدة — رسالة الاسلام الذى يقدم للنفس عقيدة تلائم الفطرة ، ويقدم للمجتمع نظاما يلائم تطورات الحياة ، ويقدم للانسانية « أمة وسطا » تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

العالم الاسلامى يستطيع أن يجعل من نفسه الكتلة الثالثة التى تحفظ التوازن ، وتقيم ميزان العدل والسلام ، الكتلة التى تربطها العقيدة والتاريخ والمصالح والآلام والآمال ، الكتلة التى لا تساير احدى الكتلتين وانما تساير الحق والعدالة والحرية ، وتحارب البغى والاستعباد والعدوان حيثما كان ، ومن أى مصدر كان ،

انها ليست شيوعية ولا راسمالية . ليست شرقية ولا غربية ، ولكنها قرآنية محمدية ((**يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور**)) (1) .

والعالم الاسلامى غنى بمصادر الالهام من كتاب ربه وسيرة نبيه ، وتاريخ أبطاله .. غنى بثروته المادية ، ورقعته الفسيحة ، وموقعه الخطير فى آسيا وأفريقيا .. غنى بشعوبه المؤمنة الطيبة النقية التى تتجه الى القبلة كل يوم خمس مرات، وتلتقى كل عام — فى الأرض المقدسة — على كلمة الله .. وقد استقل أكثر شعوبه ، والباقى فى طريقه الى التحرر الكامل من آثار الاستعمار والاستعباد .

ولكن عالم الاســلام يحتاج الى وحدة الكلمة ، والى قيادة مؤمنة ، والى تضحيات غالية ...

ترى من يقود الركب ، ويحقق الوحدة ، ويشعل جذوة التضحية والجهاد ؟ .

* * *

● رسالة العالم العربى :

واذا كان العالم الانسانى يرنو ببصره الى زعامة العــالم الاسلامى ، فان العالم الاسلامى يرنو ببصره الى زعامة العالم العربى ، وليس هذا رأى العرب فى أنفسهم فحسب ، ولكنه رأى المسلمين فيهم .

واستمع الى راى داعية من أكبر دعاة الاسلام فى الهند بل

---

(1) النور : ٣٥ .

فى العالم . يقول العلامة السيد ابو الحسن الندوى : « ان العالم العربى له أهمية كبيرة فى خريطة العالم السياسية ، وذلك لأنه وطن أمم لعبت اكبر دور فى التاريخ الانسانى ، ولأنه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى : الذهب الأسود الذى هو دم الجسم الصناعى والحربى اليوم ، ولأنه قلب العالم الاسلامى النابض ، يتجه اليه روحيا ودينيا ، ويدين بحبه وولائه ، ولأنه عسى — لا قدر الله — أن يكون ميدان الحرب الثالثة ، ولأن فيه الأيدى العاملة ، والعقول المفكرة ، والأجسام المقاتلة ، والأسواق التجارية والأراضى الزراعية ، ولأن فيه مصر ذات النيل السعيد ، بنتاجها ومحصولها وخصبها وثروتها ورقيها ومدنيتها ، وفيه سوريا وفلسطين وجاراتها ، باعتدال مناخها وجمال اقليمها ، وأهميتها الاستراتيجية ، وبلاد الرافدين بشكيمة أهلها ، ومنابع البترول فيها ، والجزيرة العربية ، بمركزها الروحي وسلطانها الدينى ، واجتماع الحج السنوى الذى لا مثيل له فى العالم ، وآبار البترول الغزيرة ، كل ذلك قد جعل العالم العربى محط أنظار الغربيين وملتقى مطامعهم ، ميدان تنافس لقيادتهم ، وكان رد فعله أن نشأ فى العالم العربى شعور عميق بالقومية العربية ، وكثر التغنى « بالوطن العربى ، والمجد العربى » .

ولكن المسلم ينظر الى العالم العربى بغير العين التى ينظر بها الأوروبى ، وبغير العين التى ينظر بها الوطن العربى ، أنه ينظر اليه كمهد الاسلام ومشرق نوره ، ومعقل الانسانية ، وموضع القيادة

العالمية ؛ ويعتقد ان سيدنا محمداً العربى هو روح العالم العربى وأساسه ، وعنوان مجده ، وأن العالم العربى — بما فيه من موارد الثروة والقوة ، وبما فيه من خيرات وحسنات — جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح ، اذا انفصل — لا سمح الله — عن سيدنا رسول الله ﷺ وقطع صلته بتعاليمه ودينه ، وان سيدنا رسول الله ﷺ هو الذى ابرز العالم العربى للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات متفككة ، وقبائل متناحرة ، وشعوبا مستعبدة . ومواهب ضائعة ، وبلادا تتسكع فى الجهل والضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدول الرومية والفارسية ، ولا يخطر ذلك منهم على بال ، ولا يصدقون بذلك اذا قيل لهم فى حال من الأحوال ، وكانت سوريا التى تكون جزءا مهما من العالم العربى مستعمرة رومية تعانى الملكية المطلقة ، والحكم الجائر المستبد ، لا تعرف معنى الحرية والعدل ، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الفارسية ، مثقلة بالضرائب المجحفة والاتاوات الفادحة . وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقة حلوبا ركوبا ، يجزون صوفها ، ويظلمونها فى علفها ، ثم أنها تعانى الاضطهاد الدينى ، مع الاستبداد السياسى ، فما لبث هذا العالم المتفكك المنحل ، المظلوم والمضطهد ، أن هبت عليه نفحة من نفحات الاسلام الذى جاء به محمد ﷺ فأحياه باذن الله ، وجعل له نورا يمشى به فى الناس ، وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه ، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية ، سفير الاسلام ، ورسول الأمن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشعل الثقافة والحضارة ، فلولا محمد ﷺ ولولا رسالته

ولولا ملته ، ما كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ولا كان العالم العربى ، بل ولا كانت حضارة الدنيا كما هى الآن — حضارة عقلا وديانة وخلقا ، فمن استغنى عن دين الاسلام من شعوب العالم العربى وحكوماته ، وولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى ، واستلهم قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب ودساتيره،ولم يرض رسول الله ﷺ قائدا ورائدا واماما وقدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله ﷺ نعمته ، ويرجع الى جاهليته الأولى : حيث الحكم الرومانى والايرانى ، وحيث الاستعباد والاستبداد ، وحيث الظلم والاضطهاد ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة ، وحيث العزلة عن العالم والخمود والجمود ، فان هذا التاريخ المجيد ، وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الأدب الزاخر ، وهذه الدول العربية ، ليست الا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام .

فالاسلام هو قومية العالم العربى ، ومحمد ﷺ هو روح العالم العربى وامامه وقائده ، والايمان هو قوة العالم العربى التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، ويحفظ كيانه ويؤدى رسالته » (١) .

أثبتنا هذا النقل الطويل ليعلم دعاة القومية المادية العلمانية

---

(١) من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ؟ .

أن العرب بغير اسلام جندى بلا سلاح،وطائر بلا جناح،وأن القومية العربية التى قال بعض زعمائهم : انها تقلق الغرب وتخيفه — ليست هى القومية الجافة الخالية من الروح ، المعزولة عن الدين ، فانما يخشى العرب ، ويحسب حسابهم لرسالتهم التى صنعتهم من قبل ، ويرجى أن تصنعهم من بعد .

التقى أحد الزعماء العرب بأحد القواد الانجليز ، فسأله : لماذا يعارض الانجليز أمانى العرب فى الحرية والاستقلال ؟ فقال القائد الانجليزى بصراحة : « انكم أيها العرب لستم جنسا عاديا من الناس ، ولكنكم أصحاب رسالة تستطيعون بها أن تغيروا وجه العالم » ! .

وما عسى ان تكون هذه الرسالة الا رسالة الاسلام ؟ ! .

❋ ❋ ❋

● نور مصر :

العالم الانسانى يرنو الى العالم الاسلامى ، والعالم الاسلامى يرنو الى العالم العربى ، والعالم العربى يرنو الى مصر : وهذا ليس رأى المصريين فى أنفسهم ولكنه رأى العرب والمسلمين فيهم .

هذا رئيس جمعية العلماء بالجزائر العالم الأديب المجاهد الشيخ محمد البشيرى الابراهيمى يقول فى مقالة له ينادى فيها مصر : أنت اليوم مثابة العروبة : فى ثراك حيا بيانها ، وبسقت أفنانها ، وفى رياضك تفتحت أزهارها ، وغردت بلابلها ، ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء .

وأنت اليوم قبلة المسلمين : يولون وجوههم اليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة وينفرون الى معاهدك يمتارون العلم منها ، والى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها ، والى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة فى الدين والدنيا عنهم ، فلك ــ بذلك ــ على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة اليها .

وأنت اليوم مأزر الاسلام فكلما سيم الهوان فى قطر ، أو رماه زنديق بنقيصه ، فزع اليك ، واستجارك ، يتلمس الغوث ، ويستمد الدفاع ، فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ثم لا منة لهم عليك ولا جميل ..

وكيف بك ــ مع هذا ــ لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام ، اذن لكنت قدوة فى احياء سنته التى أماتتها البدع ، وفى اقامة اعلامه التى طمستها الجهالات ، وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب ، وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات ، اذن لحييت واحييت .

ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من هذه الأدران ثم لم تغسلى ، وأنك قادرة على اعادة الاسلام الى رسومه الأولى ثم لم تفعلى . ويمينا مرة لو فعلت لما حل بك ما حل ، ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ، ولكنت ــ بهم ــ للعالم كله أماما أى امام ! .

ويقول السيد أبو الحسن الندوى من مقاله « اسمعى يا مصر » :

« كونى يا مصر رسول الاسلام الى الغرب ، واحملى اليه رسالة محمد ﷺ ، تلك الرسالة التى حملها العرب الى الأمة الفارسية والأمة الرومية ، فأنقذتهما من مخالب الموت . وافاضت عليهما ثوبا قشيبا من الحياة ، ولونا جديدا من النشاط ، وليس الغرب بأقل حاجة الى هذه الرسالة — وهو فى دور التفكك وتنازع الموت والحياة — من الأمة الرومية والفارسية اليها .

« ان أوروبا قد شاخت ونضجت كالفاكهة التى ادركت وضعف الغصن عن حملها .

فاستعدى يا مصر الاسلامية لتحلى محلها فى الزعامة العالمية ، وقيادة الأمم ، وما ذلك بعزيز ولا مستحيل ، اذا تم استعدادك الروحى والخلقى والمادى .

« واذا كانت أوروبا قد احتفظت بالقيادة العالمية هذه المدة الطويلة ، وليست عندها رسالة عامة للانسانية ، ولا دعوة مخلصة لأمم العالم ، وعندها كل ما يضعف ثقة العالم بها ، من وطنية وعنصرية ، وتقديس للنسل الآدمى ، وادلال باللون الأبيض ، ونزعة تجارية واستعمارية ، فكيف لا يرضى العالم بقيادتك وعندك الرسالة التى تضمن سعادة العالم كله ، والدين الذى لا يفرق بين الأوطان والعناصر والألوان » ؟ .

ذلك هو رأى العرب ، وهذا هو أمل المسلمين فى مصر ، بموقعها الهام بين قارات الدنيا وبنيلها العظيم ، وأرضها الخصبة ، ومساحتها الرحبة ، وقناتها التى تعد شريان التجارة للعالم .. مصر بتاريخها العريق ، وحاضرها المتوثب ، ومستقبلها الزاهر المنشود .. مصر بشعبها الأصيل الذى تراه فى السلم أنعم من الحرير ، وفى البأس أشد صلابة من الحديد .. مصر بأزهرها العتيد ونهضتها العلمية والأدبية ، وثقافتها الموروثة والمكتسبة ، وبمركزها وسلطانها ، ومنزلتها عند أبناء العرب خاصة والمسلمين عامة .

مصر — بقدراتها المادية والمعنوية — تستطيع ان تقود ركب تجميع العرب ، وتوحيد كلمتهم ، ثم تمد رواقها الى العالم الاسلامى كله . والشعوب معها ، يوم تفعل ذلك باسم الاسلام ، وتحت راية محمد عليه الصلاة والسلام .

تستطيع مصر أن تتزعم الكتلة الثالثة التى يحتاج اليها العالم لأمنه وسلامه واستقراره . الكتلة الاسلامية التى تمتد من اندونيسيا الى الرباط ، والكتلة التى تحفظ التوازن ، وتنصر الحق ، وتنشر الخير ، وتقيم الموازين القسط بين الناس ، كل الناس (*)

فليت شعرى هل تؤدى مصر الأمانة ، وتحقق الأمل ، وتحمل رسالة الاسلام الى العالمين ؟ .

* * *

● **رسالة الأزهر :**

واذا كانت آمال العرب والمسلمين تتجه الى مصر ، فان مصر بدورها تتجه الى الأزهر ، وهو أكبر عامل هيأ لمصر بين شعوب الاسلام هذه المكانة ، وبوأها هذه الزعامة .

الأزهر الذى أدى فى الماضى دوره الروحى والعلمى والأدبى والاجتماعى والقومى حتى احتلت مصر فى الشرق الاسلامى هـذا المكان المرموق — عليه أن يقوم بدوره الجديد فى الحاضر ، ليأخذ مقعده فى الصفوف الأولى كداعية الى الاسلام الحقيقى ، وموقظ لشعب مصر المؤمن ، وموجه لشعوب العالم العربى والاسلامى ، ومرب لدعاة ومصلحين ينبثون فى أرجاء هذا العالم كالأشعة التى تحمل النور والحرارة والحياة .

ويحسن بنا اذا أردنا أن نتصور دور الأزهر اليوم ، أن نلقى الضوء على دوره بالأمس ، وما قدمه للأمة عبر تاريخه الحافل — وهو تاريخ يجر وراءه ألف سنة أو تزيد ، فى الحفاظ على العلم واللغة والدين ، تعرضت فيها الثقافة الاسلامية لنكبتين ماحقتين مدمرتين : نكبة بغداد فى الشرق على يد « التتار » الذين لم يكتفوا بقتل الآدميين وتذبيحهم ، حتى سالت الميازيب دما فى الشوارع ، ولكنهم أرادوا تخريب العمران ، وطمس معالم الحضارة والعلم الاسلامى ، فرموا بالمكتبة الاسلامية الزاخرة الى نهر دجلة ، فجرى ماء دجلة أسود اللون ، لكثرة ما خالطه من مداد الكتب .

ونكبة الأندلس بالغرب ، على « الأسبان » المتعصبين الذين قضوا على تلك الحضارة الاسلامية الزاهرة ، التى ظلت منارة هادية فى أوروبا ثمانية قرون ، وتمزقت أشلاء المكتبة الاسلامية ما بين أسبانى ثمل بخمرة النصر ، ومسلم يلوذ بالفرار ، هربا بنفسه ودينه من براثن المتعصبين الصليبيين .

فى هذه العصور التى أصيب فيها المسلمون بما أصيبوا .. ظل الأزهر سماء لا تطاولها سماء ، تلمع فيها كواكب الهداية والنور ، وظل المهجر والمأوى لطلاب العلم ، وللعلماء المشردين والمضطهدين فى كل مكان ، وصار اكبر همه ان يركب الصعب والذلول ، ويمتطى البحر والبر ، ويرحل الى المشرق والمغرب ، ليحفظ البقية الباقية من تراث الاسلام ، ويجمع ما تفرق ويضم ما تناثر ، ويدون وينشر ما يوشك أن يضيع ، ويصنف ويؤلف عوضا عما ضاع ، وتكميلا لما بقى .

وكانت السوق الرئيسية للعلم والأدب والفلسفة فى مصر حيث الأزهر ، فمنه واليه تقوم حركة الاستيراد والتصدير العلمى ، اليه يحج العلماء منضمين الى أسرته ، ناهلين من حياضه ، ومنه ينتشر العلماء معلمين وموجهين ، أو باحثين ومستزيدين .

وبالجملة فتاريخ الأزهر العلمى والأدبى فى تلك القرون هو من تاريخ مصر وهذه المنطقة كلها بمنزلة الرأس من الجسد أو القلب الخافق بالمشاعر والوجدان .

* * *

● **شهادة التاريخ :**

على أن الأزهر كان له بجوار دوره العلمى — دور توجيهى واجتماعى وسياسى ، شهدت له به صحائف التاريخ ، فقد كان الأزهر معلم الشعب ومرجعه فى النوازل ، وحامى حمى الدين ، وحارس لغة القرآن ، وناشر العلم والثقافة ، وحامل لواء التربية والتوجيه .

كان من أبنائه المعلمون والقضاة والمفتون والوعاظ والمرشدون والأئمة والخطباء والكتاب والشعراء والمؤلفون والباحثون والعلماء والرياضيون والطبيعيون . فكان كما قيل « كل الصيد فى جوف الفرا » .

كان الجامع الأزهر برلمان الأمة ، وكان علماؤه نوابها الذين لا يبتغون جاها ، ولا يتناولون أجرا .. كان قوله الفصل ، وحكمه هو العدل ، ورأيه هو المسموع ، وأمره هو المطاع ، يولى الملوك ، ويعزل الأمراء ، ويضع التيجان على رؤوس من شاء ، ويسقطها عمن أراد ، وهو فى الملك زاهد ، وعن الامارة راغب ، وحسبه أنه اختار لنفسه أن يكون الموجه والمراقب والمشير ، على حد قول أبى الأسود الدؤلى : الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك ، وهو ما نظمه الشاعر فقال :

ان الأكابر يحكمون على الورى

وعلى الأكابر يحكم العلماء !

وكان الأزهر موقد الثورات الشعبية ومغذيها ، وقائدها ضد كل استعمار من الخارج ، أو ظلم من الداخل ... ولا زال التاريخ يسطر بحروف من نور موقف علماء الأزهر من الحملة الفرنسية ومن ظلم بعض الولاة العثمانيين ، ومن طغيان بعض المماليك .

* * *

● **الأزهر فى مقاومة الاحتلال :**

كان نابليون يحسب أن مصر ستفتح له ذراعيها بمجرد وصول حملته اليها ، ولكنه فوجىء من بنى مصر بثورات عارمة ، ومقاومة باسلة يقوم بها شعب مصر الأعزل أمام القوات الفرنسية المسلحة بالحديد والنار .

وانى لأحس بالنشوة والفخر كلما قرأت تاريخ تلك الحقبة ، ووجدت الأزهر هو العقـــل المدبر واليد المحركة لتلك الحركـــات والثورات .

استمع معى الى هذه الفقرة عن ثورة ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ أى بعد ثلاثة أشهر من الاحتلال الفرنسى : « وشكلت لجنة قيادة الثورة وجعلت مقرها الأزهر ، وانتخب الشيخ السادات رئيسا لها ، ونظمت كتائب المتطوعين — وزودوا بالأسلحة .. وانبث العلماء وشيوخ الأزهر بين الصناع والتجار ومختلف الطوائف ، يدعونهم الى الثورة ، وتسلل الدعاة الى الريف يستنهضون همم

الفلاحين لمناهضة المستعمرين ، ومؤازرة المكافحين ، فاقبلت أفواج منهم يحملون العصى والفئوس والرماح والبنادق ، واعتلى المؤذنون شواهق المآذن ينادون نداءات مثيرة للخواطر .. ..

وعلت صيحات السخط فى كل مكان ، وتجمع المواطنون فى الجوامع يستمعون الى العلماء وهم يخطبون ويحمسون أفراد الشعب على منازلة المحتلين وتحرير مصر ، الى أن اندلع لهيب الثورة واشتد أوارها .

وانبث الفقهاء فى الشوارع ينادون : من كان موحدا — أى من أهل التوحيد — فليأت الى الجامع الأزهر ، لأن اليوم يوم المغازاة للكفار ، وعلينا أن نزيل العار بأخذ الثار . وخرج قرابة ثمانية آلاف مجاهد من باب الفتوح ، وتدفقوا منه الى المرتفعات للاستيلاء على المواقع التى تصب نيرانها ....

واستشاط الفرنسيون غضبا ، فسلطوا قذائف مدافعهم على الأزهر موطن الثورة ، وأخذت القنابل تترامى على الجامع وعلى الأحياء المجاورة ، حتى تصدعت الجدران ، وانهارت المنازل الملاصقة ، ودفن الألوف من النساء والأطفال والشيوخ تحت الأنقاض ، وجرى الدم فى الشوارع من الفريقين ، ودون فى احصاء رسمى عن مقر القيادة بأن عدد القتلى بلغ زهاء أربعة آلاف من الأنفس فى هذا اليوم . ولم يلبث الفرنسيون أن احتلوا الجامع الأزهر بخيولهم ! وجاسوا خلال أروقته ، وربطوا الخيول عند القبلة ، وحطموا القناديل ، ونهبوا المخطوطات والمصاحف ! .

وعمدوا الى الانتقام من شعب القاهرة ، فقبضوا على زعماء الثورة من علماء الأزهر واعتقلوهم فى القلعة ، ثم أعدموهم دون محاكمة ، وطرحت جثثهم فى النيل .. » (١) .

وهذا امتداد طبيعى لما قام به سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام ، وشيخ الاسلام ابن تيمية من استنهاض للشعب وايقاظ لوعيه ، واثارة لحميته الدينية لمقاتلة الصليبيين والتتار .

* * *

● الأزهر فى مقاومة الاستبداد :

ولم يكن الأزهر قائد الكفاح القومى ضد الاحتلال الأجنبى فقط . ولكنه كان قائد الكفاح الدستورى ضد الاستبداد الداخلى كذلك .

فى سنة ١٧٩٥ قبل الحملة الفرنسية اضطربت الأمور فى مصر — وكثرت شكاة الناس من طغيان المماليك . وعلى رأسهم مراد وابراهيم فنهض وفد من العلماء فى مقدمتهم السيد عمر مكرم للدفاع عن الحريات العامة ، ومناهضة الاستبداد ، وألزموا الطاغيتين بشروط سجلت فى وثيقة تعهدوا فيها باقامة العدل ، والتوبة عن العدوان ، ويعدون بالقيام بالواجبات التى يفرضها

---

(١) من كتاب « كفاح الشعب » لمحمد أمين حسونة ... بتصرف . وانظر : «الأزهر فى ألف عام» للدكتور أحمد محمد عوف .

عليهم الشرع والعرف ، من صرف الأموال على مستحقيها ، ورفع الضرائب المستحدثة ، ويتكفلون بكف أتباعهم عن امتداد أيديهم الى الأموال ، وأن يسيروا فى الحكم سيرة حسنة .

هذه الوثيقة التى استخلصها العلماء من الحكام تعد — فى نظر بعض الدارسين (١) — أقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان ، فقد سبقت فى التاريخ اعلان حقوق الانسان فى أعقاب ثورة فرنسا سنة ١٧٩٨ . سجل علماء الاسلام هذه الوثيقة فى عصر عرف بالتأخر العلمى ، والركود الأدبى ، والانحطاط العام فى حياة المسلمين .

كان العلماء ملاذ الشعب كلما مسه أذى الرؤساء أو أرهقه ظلم الولاة ، وكان العلماء — عند حسن الظن بهم — المعبرين الحقيقيين عن آلام الشعب وآماله ، والمطالبين بحقوقه وأهدافه فاذا لم تجد المطالبة والاقتناع ، ولم تغن المفاوضة والمحادثة السلمية ، اتجه العلماء الى الشعب يوقدون فيه الجذوة ، ويشعلون الثورة ، ويرمون لها بالوقود ، من نصوص الدين القويم ، وتوجيهاته العادلة ، التى تأبى الظلم والطغيان ، فيندفع الشعب — باسم الدين — ثائرا غاضبا ، يهدر كالموج ، ويزأر كالليث ، ويدوى كالاعصار ... ولا عجب أن نرى المواطنين يتجمهرون ويحتشدون ويصيحون : « ياالطيف ياالطيف ، يارب يامتجلى : اهلك طائفة العثمانلى » على نحو ما كنا نقول ونسمع فى صغرنا كلما رأينا طائرة : « ياعزيز ياعزيز : كبة تأخذ الانجليز » .

---

(١) انظر : كفاح الشعب — السابق .

ثار الشعب على الوالى العثمانى خورشيد باشا ، لكثرة مظالمه ، ومظالم جنوده ، واجتمع بدار المحكمة الشرعية العلماء والفقهاء ونقباء الصناع ، وقاضى القضاة . وقرروا خلع خورشيد من الولاية واسنادها الى محمد على .. الألبانى الداهية الذى أظهر عطفه على الشعب .

وسار نواب الشعب يتقدمهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ، والشيخ الشرقاوى ، شيخ الأزهر ، يتبعهم زهاء أربعين الف مواطن — الى منزل محمد علـى بالأزبكية ، وابلغوه قـرارات مؤتمرهم الخاصة بمنع فساد الجنود ، وعدم فرض ضرائب الا بموافقة العلماء والأعيان ...

وقالوا له : شرع الله بيننا وبين هذا الحاكم الظالم .. لقد اجتمعنا اليوم لخلعه فان أطاع نجا ، وان خالف عاملناه بما كسبت يداه .

فسألهم ومن تريدون بدله ؟ .

فأجابوه : قد اخترناك بدلا منه ، بشروط ، منها : أن تسير فى الحكم بالعدل وفق نصـوص الشريعة السمحاء ، وألا تبرم أمرا الا بمشورتنا ، واذا خالفت هذه الشروط عزلناك من الولاية .

فقبل هذه الشروط ، ثم نهض الزعيمان مكرم والشرقاوى ، والبساه خلعة الولاية . أما كيف خلع خـورشيد فأمر ينبغى أن يسجل بالاعجاب والاكبار .

فى ١٦ مايو اجتمع العلماء والمشايخ وقاضى القضاة فى دار المحكمة الشرعية ، وحرروا وثيقة شرعية بعزل خورشـيد من الولاية ، وبعثوا بصورة منها الى الباب العالى بالآستانة . اما هذه الوثيقة فقد تولى الشيخ محمد المهدى صياغتها واستهلها بقوله :

« ان للشعوب طبقا لما جرى به العرف قديما ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية ، الحق فى أن يقيموا الولاة ، ولهم أن يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم ، لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة » .

وأرسل خورشيد مندوبا عنه للاجتماع بزعماء الشـعب ، وقـال المندوب للعلمـاء : كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم والله تعالى يقول : **« أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم »** ؟ (١) .

فرد عليه عمر مكرم بقوله : « أولوا الأمر هم العلماء وحملة الشريعة ، والسلطان العادل ، وصاحبك رجل ظالم .. وقد جرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور ... » (٢) .

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) الحقائق التاريخية من المصدر السابق .

وبعد حصار وكفاح انتصر الشعب بقيادة العلماء .. وعزل خورشيد ، وولى محمد على الداهية الجبار ..

وحينما انتفضت مصر انتفاضة أخرى بقيادة أحمد عرابى ، الزعيم الريفى الذى تعلم أول أمره فى الأزهر ، وكانت الثورة على « توفيق » ، واستصدر الخديو « فرمانا » سلطانيا بعزل عرابى من منصبه بالجيش — لجأ عرابى الى العلماء ، فأصدروا فتوى جريئة قالوا فيها : « ان الخديو توفيق خائن لدينه ووطنه ، وقد مرق من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية » !!

هذه مواقف جماعية للأزهر وعلمائه ، وما أكثر ما نقرأ مواقف فردية خالدة ، لبعض علمائه المؤمنين الشجعان :

فعندما أراد حسن باشا الجزائرلى المبعوث العثمانى بمصر أن يستبيح أموال المماليك ويقبض على نسائهم وأطفالهم ، ويطرحهم للبيع فى السوق ، على زعم أنهم أرقاء لبيت المال وقف الشيخ السادات يحتج احتجاجا صارخا ، ويقول :

كيف يباع هؤلاء المماليك وقد ولدوا أحرارا ؟ ! .

* * *

● **فترة الركود والتخلف :**

هذا هو دور الأزهر التاريخى وهو دور عميق الأثر ، عظيم الخطر ، هو دور علمى تربوى دينى وقومى ، اجتماعى وسياسى .

وهو دور أحس به الشعب ولمسه وعايشه ، وسجله التاريخ ، واعترف به كل من كتب عن كفاح الشعب المصرى فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر والمسلمين .

« كان الأزهر — كما كتب أحد مؤرخى هذه الفترة — موطن النهضة القومية ، ومصدر الزعامة الشعبية ، وموئل الحياة الدينية ، ومنبع الحركة الثقافية فى العالم الاسلامى . وقد برزت قوته فى كل حالة احتلت فيها مصر بالأجنبى . وفضلا عن هذا وذاك فقد غذى الأزهر النهضة العلمية فى بداية نشوئها . وأمد الكنانة بطائفة من زعماء الاصلاح ، الذين شيدوا صرح النهضة القومية ، وكان طلابه نواة مدارس الطب والهندسة والألسن ، وكان منهم شباب البعوث العلمية ، الذين قامت على اكتافهم دعامة مصر الحديثة ، بل ان الذين اضطلعوا بقسط وافر من ترجمة المؤلفات الطبية والهندسية والفنية ، والذين أسهموا فى بعث التراث العربى ، واخراج الموسوعات والكتب والمراجع التى تولت مطبعة بولاق نشرها ، كانوا من رجال الأزهر » (١) .

ولكن لماذا أقصى الأزهر بعد ذلك عن نهضة مصر الحديثة ، وعليه كان اعتمادها فى أول الأمر ؟ .

لقد كان المفروض بعد ذلك أن يقود الأزهر النهضة ، ويوجهها

---

(١) من كتاب « كفاح الشعب » السابق ذكره .

الوجهة الربانية ، ويصبغها بصبغته العربية الاسلامية ، بل كان عليه أن يتطور هو الى جامعة شاملة تنبثق منهـا كل الكليـات الجامعية النظرية والعلمية ، كما تطورت جامعات أوروبا الدينية الى جامعات عامة مثل أكسفورد وكمبردج والسوربون ، وكمـا فعل « الجزويت » فى فرنسا وهم اشد الفرق تعصبا للدين ، فهم الذين غيروا نظـام التعليم فى أوروبا ، فارتقى بسعيهم الى الدرجة التى هو فيها .

كان هذا هو المنتظر والمتوقع ولكنه لم يتحقق ، فقد ركدت ريح الأزهر ، وضعفت دولته ، وعزل عن منصة القيادة والتوجيه ، وانشئت المـدارس والجامعات المـدنية الحديثة . وأعطيت من الامكانات ما جعلها تأخذ الزمام من الأزهر ، فلماذا حدث ذلك ؟ .

ربما قيل : كان ذلك لجمود الأزهر على قديمه ، وغفلته عن تطور الحياة من حوله .

وربما كان ذلك لأن اتجاه محمد علـى ، كان اتجاها مدنيا لا يهتم كثيرا بالدين ، بل هو اتجاه عسـكرى هدفه الجيش ، وامداد الجيش وتقوية الجيش ، ليكون أداته فى اشباع طموحه ، وتحقيق أطماعه ، ومن جاء بعد محمد على ، كان منهم من أغلق المدارس والمصانع .. ومنهم من أراد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، ولم يكن وعيهم بالجذور والهوية الحضارية ، والسند الروحى للنهضة كافية .

ولما جاء الاحتلال الانجليزى ، وجثم على صدر البلاد ، كان همه أمرين :

اضعاف قوة مصر العسكرية . وذلك بقص اجنحة الجيش حتى لا يظهر « عرابى » جديد وهـذه مهمة البعثة العسـكرية البريطانية ..

واضعاف القوة المعنوية ، وذلك بخنق صوت الاسلام حتى لا يدوى ويسمع ، وحجب شعاعه حتى لا يضىء ويهـدى : فكان لابد من « تجميد » الأزهر وابعاده عن المشاركة والتأثير فى النهضة التعليمية خاصة ، وعن النهضة الحضارية عامة ، وتلك هى مهمة السياسية التعليمية التى يرسمها القس الانجليزى « دنلوب » مستشار المعارف المصرية حين ذاك . بالاضـافة الى المدارس التبشـيرية والأجنبية فى الداخل ، وايفاد البعثات الى أوروبا فى الخارج ..

وقد كان الاستعمار الانجليزى وأعوانه واعين لما يفعلونه ، فقد وجدوا الأزهر « ناشزا » مستعصيا على أفكارهم وخططهم ، ولم يكن ـ كما أرادوا ـ سلس القياد ، سهل الانقياد ، فوجدوا أفضل وسيلة للخلاص منه ، أن يترك وحده بعيدا عن تيار الحياة المعاصرة ، حتى ينكمش أو يموت داخل جدرانه . وساعد على ذلك جمود بعض شيوخه الذين أغلقوا على أنفسهم وعلى غيرهم باب الاجتهاد ، ونادوا أن يبقى كل قديم على قدمه ، ناسين أن

الأرض تدور ، وأن الفلك يتحرك ، وأن الدنيا تتغير من حولهم .
وظل الأزهر فترة من الزمن يدور حول نفسه ، لا يأتي بجديد ، ولا يرقى بقديم ، شعاره : ما ترك الأول للآخر شيئا ! .

أيا ما كان السبب .. فقد وقف الأزهر القافلة تسير ، وجمد والعالم يتحرك ، ونام ملء عينيه ، والشمس تغمر الكون بالحرارة والضـــياء .

وقد كان اعتزال الأزهر ، أو عزله عن القيادة والتأثير ، فرصة الاســـتعمار الثقافي ليعمل عمله ، في الفكـر والتشريع والحياة الاجتماعية كلها . وكان من أثر ذلك أن ضعف الوازع الديني في أنفس كثير من الناس ، ولبس كثير من المتدينين الدين كما يلبس الفرو مقلوبا ! وتمكن الغزو الفكري والروحي والاجتماعي الذي قام به التبشير والاستعمار أن يكسب انتصارات جزئية في ميادين شتى على حساب الاسلام وعقائده وتقاليده ونظمه وآدابه .. لا بالدبابة والمدفع ، ولا بالطائرة والأسطول ، ولكن بما هـو أعمق جرحا ، وأبعد غورا « بالأستاذ الذي يفسد الفكر ، وبالعلم الذي يزرع الشك ، وبالكتاب الذي يمرض اليقين ، وبالصحيفة التي تنشر الرذيلة ، وبالقلم الذي يزين الفاحشة ، وبالبغى التي تخرب البيت ، وبالحشيش الذي يهدم الصحة ، وبالممثلة التي تمثل الفجور ، وبالراقصة التي تغري بالتخنث ، وبالمهازل التي تقتل الجد والشـــهامة . وبالخمرة التي تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التي تفسد الرجولة ، وبالكمائنات التي تتقل

الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب » ! (١) .

اما والله لقد كانت نكبة كبرى ان يركد الأزهر ويعتزل او يعزل عن الحياة العامة ، ويتخلف عن قيادة الأمة ، فيتولى الزمام اناس أسماؤهم اسلامية ، وعقولهم وقلوبهم أوروبية ! جعلوا الكعبة وراءهم واتخذوا الغرب قبلتهم . وتولوا المدنية الأوروبية ، وعادوا الحضارة الاسلامية . فكانت النتيجة ان صار الدين فى واد والدولة فى واد ! ينص الدستور على أن دين الدولة الاسلام ويقول الواقع المرير : ان جلّ مظاهر الحياة بعيدة عن الاسلام ، وكل ذلك نشأ من تخلف الأزهر عن ركب الحياة .

غير ان الانصاف يقتضينا أن نقول : ان الأزهر لم يعدم من شبابه ورجاله الدعاة والمصلحين ، وان الأزهر فى الفترة التى غفا فيها وألقى السلاح ، ان كان قد فرط فى الاسلام كدولة فانه لم يفرط فيه كدين .. فظل الأزهريون يخطبون ويدرسون ، ويعلمون الشعب فى كل قرية ومدينة : أصول العقائد ، واحكام العبادات ، وآداب المعاملات ، ومكارم الأخلاق .

* * *

---

(١) من مقالة الشيخ محمد البشير الابراهيمى فى مجلة المسلمون : السنة الأولى بعنوان : يا مصر .

● رسالة الأزهر اليوم :

على أن الأزهر لم يستمر على ركوده ورقوده ، فقد رزقه الله برجال مصلحين من داخله ، حاولوا أن يوقظوه من غفوته ، وأن يفتحوا عينيه على ما حوله ، وأن يخرجوه من قيود الماضى الى باحة الحاضر ، وأن يفكوا عنه اغلال التقليد التى كبل بها نفسه وقد خلقه الله حرا ، وضيق بها الدين وقد شرعه الله رحبا .

وقال الأستاذ الامام محمد عبده : يستحيل بقاء الأزهر على حاله ، فاما أن يعمر ، واما أن يتم خرابه ! .

وجاء تلميذه الشيخ المراغى ، فبذل جهده — خلال توليه لمشيخة الأزهر مرتين — فى اصلاح أوضاع الأزهر وتجديده ، حتى يؤدى رسالته على مستوى الاسلام الذى يمثله ، ومستوى العصر الذى يعيشه . ولم يكن الطريق أمامه سهلا ، ولكنه لم يستسلم ولم يعجز ، واستطاع أن يحقق الكثير .

وجاء بعده شيوخ كبار لكل منهم قدره ومنزلته وجهاده فى سبيل الاصلاح ، من أمثال مصطفى عبد الرازق ، ومحمد الخضر حسين ، وعبد المجيد سليم ، ومحمود شلتوت ، وعبد الحليم محمود ، ممن جاهدوا لبعث الأزهر ، واعلاء كلمته ، لأنها كلمة الاسلام .

وصحا الأزهر من سكرته ، ونهض من عثرته ، وأصبح له

كليات كثيرة ، ومعاهد أكثر .. واجتهد أن يخوض من جديد معترك الحياة ، ويسهم مع الجامعات والمؤسسات الأخرى فى ترشيد النهضة ، وقيادة الأمة ، وتوجيه المسلمين ، وهداية غير المسلمين .

وهنا تشير الأصابع الى الأزهر ، ويتجه المصريون والعرب والمسلمون فى كل مكان اليه سائلين سؤال الحريص عليه ، وليس سؤال المحرج له ، أو المتربص به .

والسؤال هو : ماذا عسى أن يكون دور الأزهر اليوم ؟ وقد تغيرت الأوضاع فى مجتمعاتنا العربية والاسلامية ؟ فقد اسقطت الخلافة وتمزق المسلمون الى دول بل دويلات ، وعطلت الشريعة فى معظم جوانب الحياة ، وحلت محلها القوانين الوضعية ، وأخر الفكر الاسلامى ، والتربية الاسلامية ، والتقاليد الاسلامية ، لتفسح المجال للفكر الغربى ، والتربية الغربية ، والتقاليد الغربية .

ما عسى أن يكون دور الأزهر ، وقد ظهرت فى كل بلاد الاسلام — أو فى جلها — حركات شعبية اسلامية تجديدية ، تعمل على اعادة الوعى الى الانسان المسلم ، حتى يثق بنفسه ، ويعتز بدينه ، ويأمل فى غده . وكان من أثر هذه الحركات وجهاد رجالها ، على مر العقود من السنين : ايجاد رأى عام يطالب بالعودة الى الاسلام مصدرا للتوجيه والتشريع والتكتل ، وتكوين جيل يعتز بالاسلام ويؤمن به ، ويعمل على تحكيم شريعته فى الأرض ، وتمكينه فى دنيا الناس .

ثم ما عسى ان يكون دوره ، والقوى المعادية للاسلام صاحية لا تنام ، عاملة لا تكسل ، مخططة لا ترتجل ، من يهودية توسعية ، ومن صليبية استعمارية ، ومن شيوعية الحادية ، ومن وثنية عدوانية تختلف فيما بينها ، وتتفق علينا وحدنا . وصدق الله اذ يقول : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**))(١) .

ما عسى أن يكون دور الأزهر اليوم .. وقد كبر حجمه ، واتسعت قاعدته ؟ وما عسى أن تكون رسالته لمصر وللعرب وللمسلمين وللعالم ؟ .

ماذا عسى أن تكون رسالة الأزهر اليوم ورسالة ابنائه ؟ وقد أصبح يخرج كل عام آلافا من الطلاب ، وأصبحت جامعته تضم عددا وفيرا من الكليات للبنين والبنات ، دينية وانسانية وعلمية ، وأصبحت معاهده الابتدائية والاعدادية والثانوية منتشرة فى أنحاء شتى من جمهورية مصر العربية ؟ .

***

● الأزهر مصنع للدعاة الى الله :

ان الذى يتبادر الى الذهن أن الأزهر ليس أكثر من معهد أو جامعة للعلم الدينى ، مهمتها تخريج فئة من المتخصصين فى علوم

---

(١) الأنفال : ٧٣ .

الدين واللغة العربية او فى الدراسات الانسانية والاجتماعية والمجالات العلمية لهم ثقافة دينية .

وهذا صحيح وهو جزء أساسى من مهمة الأزهر . ولكن هذا جسم المهمة المنوطة بالأزهر وليس روحها ، فقد يتخرج آلاف الناس من الأزهر ، ويحملون شهادة العالمية ، ولكنهم لم يعوا حقيقة رسالته ورسالتهم ، ولو وعوها بعقولهم لم تنفعل بها قلوبهم ، ولو انفعلت بها قلوبهم لم تتجه اليها ارادتهم ، لأنهم يعيشون — أو يتعيشون — بها ، ولكنهم لا يعيشون فيها ، ولا يعيشون لها ! .

حدثوا أن شيخا من حكماء الشيوخ المربين ، أراد ان يعرف مدى استعداد تلاميذه ، ومقدار فهمهم لرسالتهم ، فاقترح على اربعة منهم ان يملأ كل واحد حجرة الدراسة بما يليه عليه تفكيره وشعوره .

فذهب الأول فوجد فى طريقه حطبا كثيرا ، فحمله وجاء به الى الحجرة وملأها به ، فقال له أستاذه : أنت رجل ضعيف الهمة تميل الى العيش من أقرب طريق .

وذهب الثانى فجاء بمجموعة من الكتب والمجلدات فكدسها فى الحجرة ، فقال له الحكيم : انت رجل نظرى تحسب أن فى الكتب كل شىء وتنسى كتاب الحياة الأكبر .

وذهب الثالث فجاء بباقة من الأزهار والورود ، فوضعها فى الحجرة ، فقال له الأستاذ : أنت رجل طيب القلب ، تظن الحياة نعيما لا بؤس فيه ، ولا تذكر أن بجانب الورود أشواكا مدمية .

وذهب الرابع فجاء بشمعة وأوقدها فى وسط الحجرة ، فنظر اليه استاذه الحكيم نظرة المعجب وقال له : لله درك ... انت الذى فهمت سر حياتك . ان مهمتنا أن نضىء للناس الطريق ! .

على ضوء هذا المثل ، ينبغى أن نفهم رسالة الأزهر الأولى ، ورسالة أبنائه وعلمائه .

ان مهمتنا أن نضىء للناس الطريق . أجل ، والله ، ان مهمتنا ان نذوب فى سبيل الاسلام ونحترق من أجل رسالة القرآن .. أن نكون شموعا تضىء للناس الطريق الى الجنة ، وتهدى الحائرين الى الله .

فما أضل الناس الذين يفهمون أن الأزهر مجرد جامعة لتخريج طائفة من الموظفين لتشغل طائفة من الوظائف ! واضل من هؤلاء الأزهرى الذى يفهم الأزهر ذلك الفهم الشارد ويظن بنفسه ذلك الظن الأثيم .

ان علماء الأزهر هم ورثة النبوة ، وحملة الرسالة ، هم هداة الخلق ، ودعاة الحق ، ورسل الخير ، ومفاتيح الهدى ، ومصابيح الدجى ...

ان وظيفتهم هى أشرف وظيفة فى الوجـود ، لأنها وظيفة النبيين والمرسلين . هى الدعوة الى الله على بصيرة ، وسوق الناس الى جنة الخلد ، والأخـذ بحجزهم ان يتهافتوا فى النار **« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »** (١) .

ان رسالة الأزهر أن يكون مصنعا كبيرا يصوغ الدعاة الى الله على بصيرة ، ويصنع للاسلام رجالا يفقهون كتابه ، وسنة رسوله ، وسيرة رجاله ، وتاريخ أمته ، ويتفاعلون مع الحياة التى يعيشون فيها ، وينطلقون برسالة الاسلام مبشرين ومنذرين ، موجهين ومعلمين ، للعامة والخاصة ، فى القرى والمدن ، فى المدرسة والمسجد ، فى الداخل والخارج ، بالقلم واللسان .

قد يدرسون اللغة العربية ليفهموا بها مصادر الاسلام ، وقـد يدرسون العلوم الحديثة لينتفعوا بها فى خدمة الاسلام ، وقـد يكونون مدرسين وقضاة ، واداريين وعسكريين وأطباء ومهندسين ، وزراعيين وتجاريين ، ولكنهم لا ينسون مهمتهم الأصلية : انهم حملة رسالة الاسلام **« الذين يبلغون رسـالات الله ويخشـونه ولا يخشون احدا الا الله »** (٢) **« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »** (٣) .

* * *

---

(١) فصلت : ٣٣ .
(٢) الأحزاب : ٣٩ .
(٣) فصلت : ٣٣ .

● **الأزهر حامل رسالة الاصلاح والتوجيه للمجتمع :**

بيد أن الأزهر ليس معهدا علميا يخرج علماء ودعاة للاسلام ، ثم ينتهى دوره بعد هذا .. كلا ، ان الأزهر جامعة ، وجامع ، وجمعية : جامعة للعلم والتثقيف ، وجامع للعبادة والتربية ، وجمعية للدعوة والاصلاح ، فلا ينبغى أن تفقد « الجامعة الأزهرية » روح « الجامع الأزهر » ولا طبيعة « الجمعية الشعبية » .

أجل ، على الأزهر — بحكم مسئوليته الدينية والتاريخية الشعبية والرسمية — أن يؤدى حق الله بتبليغ دعوته ، واقامة حجته ، ونشر دينه وتعليم أحكامه ، وأن يقف ديدبانا يقظا ، يحرس الايمان فى القلوب ، والعبادات فى المساجد ، والتقاليد الصالحة فى المجتمع ، والتشريعات العادلة فى الحكم ، ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم . فاذا رأى معروفا ضيع أو كاد ، أمر به وعمل على اقامته ، واذا رأى منكرا فشا ، أو فاحشة شاعت ، أو ظلما ساد ، عمل على تغييره بنصيحة السلطان ، وقوة الشعب وتأثير الايمان .

وليس هذا من الأزهر خروجا على اختصاصه ، وتدخلا فى شئون دنيوية سياسية ليست فى حدود عمله ، كما يحسب الجاهلون بالاسلام ، ونظامه وتاريخه ، فالاسلام غير المسيحية ، والقرآن غير الانجيل ، والأزهر غير الكنيسة ، وعلماء الاسلام غير رجال الكهنوت .

فليس فى نصوص الاسلام من كتاب أو سنة نص يقول : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن الاسلام ينادى أن قيصر ، وما لقيصر ، واتباع قيصر : لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ومن فى السموات ومن فى الأرض .

وفى آيات الكتاب : **« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون »** (١) .

وفى احاديث الرسول ﷺ : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .

ولم يكن الأزهر فى تاريخه الطويل المجيد ديرا لرهبان ، ولم يكن علماؤه ولا علماء الاسلام فى اى بلد رجال كهنوت أو عبادا فى صوامع ، بل كانوا يعيشون فى معمعة الحياة ، فى اللهب وفى الصقيع مع الشعب وبين ظهرانيه ، يوجهون المواطنين وينصحون الحكام . بل يحملون السلاح ويخوضون المعارك ضد الغزو أو الطغيان فى بعض الأحيان . ونحن نقرأ ثورة العلماء المسلحة على الحجاج بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث فى شرق الدولة الاسلامية ، وثورة أخرى بقيادة القاضى يحيى بن يحيى فى غربها بالأندلس .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

ـ واجب الدعوة والتوجيه :

على أن الواجب الأساسى للأزهر نحو المجتمع هو واجب الدعوة والتوجيه والهداية التى هى رسالة الأنبياء والرسل عليهم السلام . وهذا واجب الأزهر بصفته هيئة عامة ، وواجب علمائه بصفتهم الفردية .

ان علم الدين لا يتعلم ليدفن فى الصدور ، أو ليتلذذ به العقل ، أو تنال به الشهادة ، أو تكتسب به الوظيفة . ولكنه يتعلم ليكون نبراسا يهتدى به صاحبه ثم يهدى به غيره ، يعمل به ثم يعلمه للناس ، فمن علم وعمل وعلم (١) فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء . وقد أجمع السلف على أن الرجل لا يكون ربانيا حتى يعلم ويعمل ويعلم ، وصدق الله « **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » (٢) .

كتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء رضى الله عنهما : « ان العلم كالينابيع يغشى الناس فيختلجه هذا وهذا ، فينفع الله به غير واحد ، وان حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه ، وان علما لا يخرج ككنز لا ينفق ، وانما مثل المعلم كمثل رجل عمل سراجا فى طريق مظلم يستضىء به من مر به » .

---

(١) علم وعمل وعلم : علم الأولى بكسر اللام ، والثانية بفتحها مع التشديد .

(٢) آل عمران : ٧٩ .

فليهيىء الأزهر نفسه ، لتعليم الأمة ، وتوجيه الشعب ، وليخاطب كل قوم على قدر عقولهم ، وليقدم لكل طائفة ما يصلح لها من دواء ، وما يناسبها من غذاء ، فعليه واجب نحو العامة ، وواجب نحو الخاصة ، وواجب نحو جيل الصحوة .

* * *

● **واجب تنوير العامة :**

ان على الأزهر واجبا نحو عامة الناس ، الذين يكونون جمهور الأمة ، واجبه ان يعلمهم الاسلام النقى المصفى ، خاليا من الأجسام الغريبة التى لصقت به وليست منه فكدرت صفاءه ، وشوهت جماله ، وأن يشن حملة تطهير على الخرافات والمعتقدات الشركية الباطلة التى افسدت عليهم عقيدتهم ، والبدع الضالة التى افسدت عليهم عبادتهم ، وأخلاق الضعف والسلبية التى افسدت عليهم ارادتهم ، والعادات الضارة التى أفسدت عليهم حياتهم . وعليه أن ينتفع بما فى فطرهم من سلامة ، وما فى قلوبهم من اصالة التدين ، فيثير فيهم الغيرة على الحق ، والتحمس للدين ، والتنافس على الخير ، ويعمل على أن يبث فى عقولهم الأفكار السليمة ، ويثبت فى قلوبهم العقائد الصحيحة ، ويربى فى أنفسهم الأخلاق القوية ، وينشر فيما بينهم التقاليد الصالحة ، مستخدما فى ذلك الحكمة والموعظة الحسنة ، والدعوة بالتى هى أحسن ، كما أمر الله تعالى .. وان ينأى بهم عن متاهات الخلافات ، وغرائب المقولات ، وغوامض الآراء والاجتهادات ، التى احتار فيها الخواص ، فكيف بالعوام وقد قال ابن مسعود : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » . كما يجب

على الدعاة الوعاة أن « يبسطوا » لهؤلاء دينهم غاية « التبسيط » اقتداء بالنبى الكريم فى تعليمه ولا يكثروا عليهم تعاليم الاسلام بكثرة التفريعات والتفصيلات ، واضافة التشديدات والتعقيدات التى تجعل الدين السهل غاية فى الصعوبة ، وتجعل استيعابه نهاية فى العسر ، على غير ما شرع الله ، وما أوصى رسوله ﷺ ، فالله تعالى يقول فى كتابه : ((**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**)) [1] ورسوله ﷺ يقول لأبى موسى ومعاذ حين بعثهما الى اليمن « يسرا ولا تعسرا . وبشرا ولا تنفرا » .

* * *

● واجب توجيه الخاصة :

وعلى الأزهر وعلمائه واجب آخر ، نحو خواص الأمة من المثقفين والمتنورين ، وذلك بأن يحميهم من موجة الجحود والتحلل والاستهتار ، والتقليد الأعمى للغرب .. تلك الموجة العاتية التى يدفعها الينا التيار الغربى بشقيه : الشيوعى ، والرأسمالى ، الذى طغى على النفوس والأفكار والأوضاع ... وان يقدم اليهم الاسلام الذى يخاطب عقولهم المتفتحة ، ويلائم روحهم المتوثبة ، ويناسب معارفهم المتطورة ، ويفجر طاقاتهم المتجددة . ولست أعنى أن يخترع الأزهر لهم اسلاما من عنده ، يلائم عقليتهم فالاسلام نفسه يملك من السعة والمرونة ، ما يقدم به لكل مرتبة من الناس ما يناسب درجتها . فليس العوام كالخواص ، وليس الخواص كخواص الخواص . وليس من الحكمة ان يخاطب الحضرى

---

(1) البقرة : ١٨٥ .

بما يخاطب به البدوى ، ولا أن يدعى المثقف بأسلوب الأمى .
وقد قال النبى ﷺ لمعاذ لما بعثه الى اليمن : « انك تأتى قوما أهل كتاب ، فادعهم الى كذا وكذا .. » فدلنا على أن دعوة أهل الكتاب ليست كدعوة الأميين من المشركين . وقال على رضى الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، اتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ! .

واجبنا مع الخاصة أن نطارد الأفهام الخاطئة فى رؤوسهم والتصورات السقيمة للاسلام فى أذهانهم ، حتى يعلموا انه ليس دين دروشة وانقطاع عن الحياة ، ولكنه دين عمل وانتاج ، وليس دين تخلف أو جمود ، بل دين تقدم وتطور .. وليس دين عنف وتعسير بل دين سماحة وتيسير ، وليس عبادة وروحانية فحسب ، ولكنه نظام كامل يوجه طاقات الفرد ، وحياة الأسرة وطبقات الأمة ، وشئون الدولة ، فى سياستها واجتماعها ، وادارتها واقتصادها ، وسلمها ، وحربها .. بل يسعى الى ربط العالم كله برباط الانسانية والاخاء ، **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** (١) .. وحتى يعلموا أن محمدا ﷺ لم يبعث ليحرجهم فى دين ، أو يضيق عليهم فى دنيا .. وانما جاء **« يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم »** (٢) .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ . (٢) الأعراف : ١٥٧ .

اذا أفهمنا الشعب دينه على هذا النحو فقد استحققنا ان نكون من معلمى الخير الذين عظم شأنهم رسول الله ﷺ فقال : « ان الله وملائكته وأهل السماء وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » (١) .

* * *

● واجب ترشيد الصحوة :

وواجب آخر نحو المد الاسلامى المتصاعد أو ما اصطلح على تسميته أخيرا بـ « الصحوة الاسلامية » التى تتمثل أبرز ما تتمثل فى الجيل الجديد من شباب الجامعات والمعاهد ، الذى ظهر فى عدد من البلدان والأقطار الاسلامية ، يقيم الشعائر ، ويحيى من السنن ما مات ، ويقاوم من البدع ما انتشر ، ويتمسك بالآداب الاسلامية ، ويعيد للناس الثقة بقدرة الاسلام على العطاء والتأثير .

ولا ينبغى للأزهر أن يقف من هذه الصحوة موقف العزلة عنها ، أو الاستعلاء عليها ، أو المخاصمة لها ، وان كان عليها بعض المآخذ فى الفكر أو السلوك ، ولا يجوز له أن يقف منها موقف العداء ، ويضع نفسه موضع ممثل الاتهام ، بل ينبغى أن تشعر هذه الأجيال المسلمة بأبوته لها ، وحرصه عليها ، وفرحه بها ، ينبغى أن تشعر بأنه معها لا عليها . فهو يأخذ بأيديها ، ويسدد خطواتها ، ويقيل عثراتها ، ويساند تطلعاتها ، ويخفف من

---

(١) رواه الترمذى .

غلوائها ، وينوه بإيجابياتها ، ويحذر من سلبياتها ، بعلم وحكمة ، ورفق ورحمة .

ومن أبلغ ما جاء عن سلف الأمة هذه الكلمات الحكيمة ، يقال : ما أحسن الاسلام يزينه الايمان ، وما احسن الايمان تزينه التقوى ، وما أحسن التقوى يزينها العلم . وما احسن العلم يزينه الحلم ، وما أحسن الحلم يزينه الرفق ! .

وحسبنا قول الله تعالى لرسوله الكريم : **« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »** (١) .

* * *

● **الأزهر والعالم الاسلامى :**

وليســـت مهمة الأزهر محدودة بحدود مصر وحدها ، ولكن الأزهر للعالم الاسلامى الواسع ، الممتد من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى ، هذا العالم الفسيح الذى يضم نحو ألف مليون مسلم فى اخصب بلاد الله أرضا ، وأهمها موقعا ، وأغناها بالمعادن المذخورة ، والثروات المنشورة .

ومن حسن حظ الأزهر أنه يملك من القدرات والعوامل التى تساعده على أداء مهمته فى العالم الاسلامى ما لا يملكه أحد .

من هذه العوامل : تاريخه الحافل بالجهاد والعطاء فى شتى الميادين وقد تحدثنا عنه من قبل .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

ومنها : ما له من نفوذ عميق وهيمنة روحية بعيدة المدى .

فان شعوبنا ما زالت — رغم السموم التى روجها دعاة الالحاد والاباحية — شعوبا مؤمنة متدينة .. ولا زال لعلماء الدين عندها مكان أى مكان ، ما داموا اكفاء فى عملهم أمناء على دينهم .

ولقد رأيت بعينى راسى — فى ريف مصر ومدنها — بعض العلماء والدعاة الموفقين والشعب يكاد يقدس الواحد منهم تقديسا : يعتقدون أن شارته حكم ، وطاعته غنم ، وحبه عبادة ، وخدمته قربة ، ورضاه من رضا الله ، اذ هو وارث رسول الله ﷺ ، وحارس هدى الله ، ومرجع الكافة لمعرفة حكم الله **« فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »** (١) .

واذا كان الشعب فى بعض الأزمنة قد اشاح بوجهه ، ونأى بجانبه ، عن بعض كبار الشيوخ أو صغارهم فلأنهم ولوا وجوههم لغير الله ، فولى الشعب وجهه لغيرهم ! ، ولأنهم فقدوا احترامهم لأنفسهم ففقدوا احترام الناس لهم ، ورحم الله القاضى الجرجانى حين قال :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه فى النفوس لعظما !
ولكن أهانوه فهان ، ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما !

صحيح أن هناك فئة قليلة تكره الأزهر وتكره علماء الدين

---

(١) النحل : ٤٣ .

عامة لأنها تكره الاسلام نفسه ، وتكره العربية ، والأزهر معهد الاسلام ، وموئل العربية .

وهناك من يضيقون بالأزهر ، لأنه شيء قديم ، وهم ادعياء التجديد ، وعباد كل جديد . أولئك الذين قال عنهم الرافعي ساخرا : انهم يريدون ان يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر !! .

وقال عنهم شوقي :

لاتحـــذ حذو عصابة مفتونة   يجدون كل قديم أمر منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا   من مـات من آبائهم أو عمرا
من كل ساع فى القديم وهدمه   واذا تقـدم للبناية قصرا

ولكن هذه الفئة وتلك ليست شيئا مذكورا بجوار عشرات الملايين التى تحب الأزهر وتقدر الأزهر .

ومنها : ان الأزهر خاصة له من خريجيه وأبنائه جنود منتشرون فى كل ارجاء مصر ، وسائر أقطار الاسلام .

وهل هناك جمعية لها أعضاء عاملون ومشتركون فى كل مدينة وقرية وعزبة كما للأزهر الذى ينتشر ابناؤه فى كل مكان انتشـار الأوردة والشرايين فى الجسد ؟ وهل يخلو مسجد فى قرية من امام وخطيب من الأزهر ؟ .

وهل تخلو قرية من مأذون شرعى من الأزهر ؟ وهل تخلو مدرسة من مدرس للغة العربية والدين من ابناء الأزهر ؟ وهل تخلو منطقة من واعظ أو مفت أو قاض من الأزهر ؟ .

ورحم الله شوقى حين عرف هذه الحقيقة ، فخاطب بها أبناء الأزهر فى قصيدته الرائية المشهورة :

هزوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم لعمر الله أعصاب القرى
الغافل الأمى ينطق عنكمو كالببغاء مرددا ومكررا
لو قلتم : اختر للنيابة جاهلا وأمور دنياه بكم مستبصرا
يمسى ويصبح فى أوامر دينه أو للخطابة باقلا ، لتخيرا

وهل هناك وكالة أنباء لها مندوبون ومراسلون فى جميع أقطار الشرق كما للأزهر ؟ .

ولقد سافرت الى الشرق الأقصى ، فوجدت الأزهريين فى كل مكان : فى ماليزيا ، وفى أندونيسيا ، وفى تايلاند ، وفى الفلبين . بل وجدت أبناء الأزهر كان لهم القدح المعلى فى تفجير الثورة الاسلامية وقيادة الجهاد الاسلامى فى جنوب الفلبين .

وسافرت الى الغرب فى أوروبا وأمريكا ، فوجدت سفراء الأزهر هناك ، ما بين مواطن ، ومستوطن ، ومبعوث .

وفى أمريكا اللاتينية وفى استراليا وأفريقيا ، لا يغيب الأزهر ، فحيث يوجد الاسلام يبعد الا يوجد الأزهر .

وفى رحاب الأزهر اليوم آلاف مؤلفة من طلاب البعوث الاسلامية ، من مختلف بلاد الاسلام فى المشرق والمغرب ، من الفلبين الى المغرب ، ومن تركيا الى جنوب أفريقيا ، بعثت بهم أقطارهم — وهم ثمرات أفئدتها ، وحبات قلوبها — ليعبوا من معين الدين فى الأزهر ، ثم يعودوا الى قومهم منذرين ، ومعلمين

وموجهين . تستقبلهم اوطانهم استقبال السقيم للعافية ، لأنهم عادوا من قلب العروبة والاسلام ، من مصر ، من الأزهر ، واستجابوا لقول الله تعالى : ((**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**)) (١) .

من هنا كان على الأزهر أن يقدر مهمته الضخمة على مستوى الأمة الاسلامية ، ومستوى العالم الاسلامى الكبير .

هذا العالم ذو التاريخ الحافل بالروائع والبطولات ، والحاضر العامر بالآمال والطموحات ، فى حاجة الى من يجلوا الصدأ عن جوهره ، ويزيح الران عن قلبه ، ويعرفه بموطن القوة فيه ، بعقيدته وتاريخه ، ويجمعه على كلمة سواء : كلمة التوحيد ..

ومن أولى من الأزهر بهذه المهمة الجليلة ، وبخاصة أن مكانته فى أمة الاسلام فى موضع السواد من العين ، والسويداء من القلب ؟ ..

ومما يؤخذ على الأزهر أنه لم يعط هذا « الجيش الاحتياطى » ، من أبنائه المنتشرين فى الأرض ، حقه من الاهتمام والرعاية .

ولم يضع أى تنظيم ، ولم يتخذ أية خطوة عملية للتعرف على خريجيه ، والاتصال بهم ، عن طريق المكاتبة والمراسلة ، أو الزيارة لهم فى بلدانهم ومواقعهم فى بعض الأحيان ، أو دعوة من تساعده الظروف منهم الى الأزهر فى بعض المناسبات .

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

ومن الواجب أن يبادر الأزهر ، فينشىء « مكتبا للخريجين » — وبخاصة من كانوا خارج مصر — يعمل على تكوين سجل أو « أرشيف » لهم ، يعرف منه : أين يعمل خريج الأزهر ، وما عمله وما عنوانه ؟ وما يمكن أن يؤديه من خدمة للاسلام وأهله ، داخل بلده أو خارجها . وما يمكن أن يبعث به من تقارير عن أوضاع المسلمين حيث يقيم . وخصوصا من هيأ الله له أن يقف على ثغرة هامة أو يوضع فى موقع مؤثر فى مجتمعه .

فقد أصبح من هؤلاء الوزير والسفير ، والعميد والمدير ، والتاجر الكبير ، ومنهم القاضى والمفتى والداعية والمعلم .

وعلى المكتب أن يعمل على دوام الاتصال بهم ، والاستفادة منهم فى أمر الدعوة الى الاسلام ، ومقاومة الهجمات التنصيرية والشيوعية وغيرها على أبنائه ، والمساهمة فى حمل هموم المسلمين — ولا سيما الأقليات والجاليات — وحل مشكلاتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ويمكن أن يتكون من هؤلاء الخريجين وأمثالهم من أهل العلم — اذا حسن الاتصال بهم وانتظم — رابطة أو « اتحاد لعلماء الاسلام » فى العالم .

* * *

● **الأزهر وهداية العالم :**

ليست مهمة الأزهر موقوفة على العالم الاسلامى فحسب ، فان الأزهر حامل رسالة الاسلام وهى رسالة انسانية عالمية شاملة ، ليست رسالة اقليم معين ، ولا جنس خاص : أول سورة

فى كتابها تبدأ بحمد الله ((**رب العالمين**)) ، وآخر سورة فيه تبدأ بالاستعاذة ((**برب الناس . ملك الناس . اله الناس**)) (١) فاله الاسلام اله العرب والعجم والجن والانس والملاك والجماد ، ((**رب العالمين**)) . وكتاب الاسلام عالمى الاتجاه ، ((**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)) (٢) .

ورسول الاسلام ليس مبعوثا الى العرب خاصة ، ولكنه رسول الله الى الناس كافة ((**قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا**)) (٣) — ((**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) (٤) .

والمسلمون أمة من طبيعتها أن تمتد بدينها امتداد الضوء ، وتعلن حقها وعدلها على الناس ، كما أعلنه من قبل مندوب المسلمين امام كسرى : « نحن قوم قد ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

فهل يقبل من الأزهر أن يحبس نفسه فى قفص ، ويترهب فى صومعة ، تاركا آفاق العالم الرحبة للمذاهب الهدامة ، والمبادىء الفتاكة ، الدعوات المدمرة تصول فيه صيال الأفاعى السامة ، تنفث السم والموت والخراب ؟ ! .

ان على الأزهر أن يتقدم الى العالم المعذب بقارورة الدواء ، والى الدنيا التى أحرقها لهب المطامع المادية بمضخة الاطفاء ، والى الانسانية المضطربة برسالة محمد ﷺ : رسالة الايمان والاخاء العدل والحرية والسلام ((**قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين**)) (٥) .

* * *

---

(١) الناس : ١ — ٣ . (٢) الفرقان : ١ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ . (٤) الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) يوسف : ١٠٨ .

عوامل النجاح ومقوماته في رسالة الأزهر

هناك عوامل ثلاثة لها أعمق الأثر في نجاح الأزهر في رسالته :

● **اولها : استعداد شعوبنا للتدين ، وتقبلها لفكرة الاسلام .**
فاذا أخذنا الشعب المصرى مثلا ، وجدناه شعبا مؤمنا متدينا بفطرته وتاريخه .. ولا ينقصه الا من يوقظ فيه الروح ، ويشعل الجذوة ، ويقوده بالفكرة الواضحة الى الطريق السليم .

ومصر انما بنت الأهرام فى عهد الفراعنة باسم الدين ... وابتكرت عملية التحنيط العجيبة بدافع من الدين .. ولم تحرز نصرا فى التاريخ الوسيط او الحديث الا بقوة الدين ...

انتصرت على أوروبا الصليبية يوم قادها صلاح الدين باسم الله تحت لواء الاسلام .

وانتصرت على الزحف التترى الوحشى يوم صرخ المظفر قطز فى جنوده : « وا اسلاماه » .

وقاومت الجيوش الفرنسية الزاحفة بتوجيه علماء الدين ..

وانطلقت موجات ثورتها سنة ١٩١٩ من الجامع الأزهر تحمل روح الدين ..

ولم يثبت فى ميادين فلسطين ويبدى روائع البطولة الا اهـل الدين ..

ولم يرعب الانجليز فى القنال الا شباب صنعتهم المحاريب ، رهبانا بالليل ، فرسانا بالنهار ! .

ولم يتحقق النصر فى العاشر من رمضان على القوة التى زعموا أنها لا تقهر ، ولم تعبر القناة ، وتقتحم خط « بارليف » الا بجهاد الصائمين القائمين ، وايحاء « الله اكبر » !

وقد كانت هذه المعركة فرصة تجلت فيها مصر الحقيقية ، وذاب الطلاء الأجنبى الزائف الذى اراد بعض الرقعاء من عباد الغرب أن يغطوا به معدنها الأصيل . وشاء الله أن يحبط سعيهم ، ويظهر مصر كالعهد بها .. مصر المؤمنة الالهية ، التى اعتنقت المسيحية فضحت فى سبيلها الآلاف وعشرات الآلاف من الشهداء ، واحتضنت الاسلام دينا ودولة ، ولغة وحضارة فكانت ولا تزال كعبته الثقافية التى يتجه اليها المسلمون فى شرق الأرض وغربها .

وقديما قال المؤرخ اليونانى « هيرودت » : « المصريون قوم دينيون » .

وحديثا قال عنهم مثل ذلك « ستانلى لن بول » حينما عاش بينهم فى أوائل القرن التاسع عشر .

واذا تحدثت عن قوة ايمان الشعب المصرى وسلامة فطرته ،

فلأنه الشعب الذى فيه الأزهر ، وقد لمست بالرحلة والمخالطة : أن الشعوب العربية والاسلامية كلها لا تختلف كثيرا عن مصر ، ايمانا بدينها وغيرة على اسلامها ، حتى الشعوب التى أعلن حكامها نبذ الدين مثل تركيا ، التى أعلنها « أتاتورك » دولة لا دينية ، لا زال شعبها — وخاصة فى الأناضول — مؤمنا بربه ، متمسكا بدينه ، لا يهزه شىء كما تهزه كلمة الاسلام ، كما تدل على ذلك آلاف المدارس القرآنية ، وعشرات المعاهد الدينية ، التى أنشأها الشعب بالجهود الذاتية .

مما اضطر الحكومات أن تعدل موقعها بعض الشىء من الدين ، وأن تتملق الرأى العام المسلم فى الانتخابات . وقد تجلى هذا التيار الشعبى القوى فى مساندة حزب « العدالة » من قبل ، وفى قيام حزب « السلامة » من بعد ، وهو الحزب الاسلامى الذى يرجى له أن يكون حزب المستقبل باذن الله .

وهل هناك دليل أنصع واوضح من الجزائر التى احتلها الاستعمار الفرنسى ، قرنا وربعا . وبقى — مع هذا — شعبه الجزائر عربيا صريح العربية ، مسلما عميق الاسلام .

وقد شهد بهذه الحقيقة — قوة الدين لدى شعوبنا — من خالط العرب والمسلمين الأجانب والمستشرقين ، وكتب عنهم .

يقول المؤرخ الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى المعروف « جوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » :

« تأثير دين محمد فى النفوس أعظم من تأثير أى دين آخر .

ولا تزال العروق المختلفة التى اتخذت القرآن مرشدا لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا . أجل قد تجد بين المسلمين عددا قليلا من الزنادقة والأخلياء . ولكنك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الاسلام فى عدم الامتثال بتعاليمه الأساسية . فالصلاة فى المساجد ، وصوم رمضان الذى يراعى جميع المسلمين أحكامه بدقة ، مع ما فى هذه الأحكام من صرامة ، لا نجد مثلها فى صوم الأربعين الذى يقوم به النصارى ، كما شاهدت ذلك فى جميع الأقطار الاسلامية التى زرتها فى آسيا وافريقيا . ومن ذلك أتيح لى أن أركب سفينة نيلية كان فيها أفراد عصابة عربية مقرنين فى الأصفاد ، ومتهمين بأنواع الجرائم . فقضيت العجب حين رأيتهم — وهم الذين خرقوا حرمة جميع القوانين الاجتماعية مستخفين بأقصى العقوبات — لم يجرأوا على انتهاك تعاليم النبى ، حين شاهدتهم يرفعون تلك الأصفاد عنهم وقت الصلاة ليسجدوا لله القهار ويعبدونه .

« وعلى من يرغب فى فهم حقيقة أمم الشرق — التى لم يدرك الأوروبيون أمرها الا قليلا — أن يتمثل سلطان الدين الكبير على نفوس أبنائها . وللدين — ذى التأثير الضئيل فينا — نفوذ عظيم فيهم . وبالدين يؤثر فى نفوسهم . ولولا الدين ما حرك ساكن المصريين ، منذ الثورة التى ضرجت مصر بالدماء — يعنى ثورة ١٩١٩ — الى أن يقول :

« ان الرجل الذى يخاطب العرب باسم الله يطاع لا محالة ما علموا أنه يتكلم باسم الله حقا » .

« فعلى الواحد المؤمن أو الملحد أن يحترم هذا الايمان العميق الذى استطاع العرب أن يفتحوا العالم به فيما مضى . وهم اليوم يصبرون به على قسوة المصير » (١) .

تلك هى طبيعة هذه الأمة ، وذلك هو تأثير الاسلام فى أبنائها العرب وغيرهم من « العروق المختلفة التى اتخذت القرآن مرشدا لها » كما يقول لوبون .

ويقول الأستاذ « كليرنج » فى كتابه عن « الشرق الأدنى .. مجتمعه وثقافته » :

« ان الدين مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب بأجلى صورها وهو للجماعة كالحدقة من العين ، ترتسم عليها صور الحقائق التى توليها الاهتمام » .

أما الأستاذ « اليسون » فيؤكد استنادا الى وقائع التاريخ ذاته بأن الاستقرار لدى الآسيويين على الأخص — فى حاجة دائما الى الاستناد الى الدين .

وهذا موافق لما ذهب اليه فيلسوف التاريخ « ابن خلدون » فى شأن العرب والترك وغيرهم من شعوب الشرق من حيث قوة تأثير الدين فيهم ، حيث يصبح الوازع لهم من انفسهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة ، الوازع من التحاسد والتنافس (٢) .

---

(١) من كتاب « حضارة العرب » لجوستاف لوبون — تعريب عادل زعيتر ص ٤١٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون — الكتاب الأول — الفصل ٢١ — ٢٧ .

فمن أراد أن يصنع بهذه الأمة العجائب ، ويقتحم بها المخاطر ، ويخوض بها لجج المعارك ، ويعيد بها أيام خالد وصلاح الدين فليخاطبها باسم الله ، وليقدها بزمام الايمان ، وليجمعها تحت راية القرآن ، وكلمة التوحيد ، وقيادة معلمها الأول محمد عليه الصلاة والسلام . وليربطها بأيام الاسلام ، وتراث الاسلام ، وايمان الاسلام (١) .

* * *

● ثانيها — عظمة الرسالة التى يدعو الأزهر اليها : رسالة الاسلام :
فليس فيها ما ينافى العقل ، أو يعادى التقدم . أو يعرقل سير الحضارة ... وانما هى رسالة جاءت تحارب الوثنية بالتوحيد ، والاباحية بالفضيلة ، والجهل بالعلم ، والجمود بالتحرر ، والتخلف بالتقدم ، والظلم بالعدل ، والفوضى بالنظام ، والتعصب بالتسامح ، والاستبداد بالشورى ، وصراع الطبقات بالاخاء والمساواة ، والنزعات القومية بالدعوة العالمية ، والتكالب على المادة باثارة أشواق الروح .

واستعانت على تحقيق أهدافها بالفطرة الانسانية نفسها ، فهى لم تجىء لمحاربتها وتغييرها ، وانما جاءت لتهذيبها والسمو بها **« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها » (٢)** .

ولم يسمح الاسلام أبدا بما ينافى الفطرة ، فحارب بكل قوة

---

(١) من كتابنا : الحل الاسلامى فريضة وضرورة .
(٢) الروم : ٣٠ .

نظام الرهبنة لأن فيه تعطيلا للغريزة الجنسية والغريزة الاجتماعية ، وسد الطريق على دعاة التقشف والحرمان فأعلن القرآن الكريم :
((قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)) (١)

وهذا ما شهد به المنصفون ممن درسوا الاسلام من مصادره الحقة ، ولم تمنعهم العصبية العمياء ، ولا الخوف من الشهادة بالحق واعلانها على الملأ دون تردد ، ومن هؤلاء من أعلن اسلامه مثل ليوبولد فايس «محمد أسد» ورينيه جينو «عبد الواحد يحيى» ، واللورد « هدلى » .... وأخيرا المفكر الفرنسى اليسارى الشهير « روجيه جارودى » الذى أعلن اسلامه ، وسمى نفسه « رجاء جارودى » وأصدر كتابه المسمى « بشائر الاسلام » .

ومن هؤلاء المنصفين من لم ينته الى الدخول فى الاسلام . ولكنه أعطاه حقه ، وقدره قدره ، مثل « توماس كارلايل » ، و «تولستوى» ، و « برنارد شو » ، و « ديفا جليرى » ، و « نظمى لوقا » . وغيرهم ممن اعترفوا بما تميز به الاسلام من التكامل والتوازن والشمولية والواقعية التى تتجلى فى كل تعاليمه .

يقول الأستاذ « ولز » مؤلف كتاب « تاريخ العالم » من كلام طويل له عن القرآن والاسلام ختمه بقوله : « اذا طلب منى القارىء أن أحدد له الاسلام فانى أقول له : الاسلام هو المدنية . واذا أراد ان يعرف ذلك فليقرأ القرآن » .

---

(١) الأعراف : ٣٢ .

وفى سنة ١٩٦٢ استقدمت الحكومة المصرية خبيرين اجنبيين من أوروبا للاستعانة بآرائهما فى اصلاح أجهزة الحكم ، وتنظيم الادارة الحكومية ، والخبيران هما : مستر « لوتر جيوليك » ، و « جيمس هـ. بولوك » ، فمكثا مدة يبحثان ويرجعان الى الخبراء المصريين ويستمعان اليهم . ثم قدما تقريرا الى الحكومة ذكرا فيه ما وصلا اليه من قواعد اصلاحية فى الحكم .

ثم قالا فى نهاية التقرير : « ويتجلى من هذه النقاط أن الثقافة الاسلامية من أصلح الأسس للحكم الناجح فى العصر الحديث .

وليس هذا فحسب . بل انها تقدم للشعب المصرى المسلم المبادىء التى يمكن أن يقيم عليها ديمقراطيته » .

« واذا صح ما ذهبنا اليه فى تلك العجالة القصيرة — وهو صحيح — فان الثقافة الاسلامية تكون ابعد الأشياء من اعاقة سير التقدم والتطور فى النظم الحكومية ، كما تكون أبعد الأشياء عن الدعوة العمياء ، أو التشبث بالتقاليد العتيقة البالية .

ذلك لأن الثقافة الاسلامية تشجع الانسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث مع الاطمئنان الى القيادة المسئولة ، وتبادل الراى والمشورة ، وهذا على وجه التحديد هو المنهج الذى صارت الحاجة ماسة اليه (١) .

---

(١) من كتاب « نحو تقنين جديد » للأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى — نقلا عن كتاب « اسلام لا شيوعية » للدكتور عبد المنعم النمر .

● **ثالثها – حاجة العصر الذى نحن فيه :**

نقل المرحوم فريد وجدى عن الأستاذ (هنرى بيرانجيه) فى المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجلات الفرنسية قال : « ان المسألة الدينية أهم ما يشغل العالم المتدين اليوم ، لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلها » .

فقد كان القرن الماضى (التاسع عشر) عصر الغرور العلمى ، بهرت المادة أبصار الباحثين ، فتنكروا للدين ، وأنكروا ما وراء الطبيعة ! فلما استقر العلم ، وغاصوا فى بحاره تبين لهم أن وراء المادة روحا ، ووراء الكون مكونا أعلى ، وأن مع الدنيا دينا لا تستقيم امورها بغيره . حتى قال باحث غربى معبرا عن حاجة الناس الى الايمان بالله : (لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه !) وقال آخر : (يجب أن يزج فى السجن كل صاحب مدرسة يكون شعارها : لا يعلم الدين هاهنا) .

ان الرقى العلمى الهائل ، والتقدم الصناعى الجبار ، قد جعل الانسان يتغلب على المسافات ، ويختصر الزمن ، ويغزو الفضاء ، ويعيش فى رفاهية ، ربما لم يعرفها الملوك من قبل . ولكنه لم يحقق له السعادة التى تنبع من استقرار النفس وطمأنينة القلب ، وذلك لا يتم الا بالايمان **((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب))** (١) . **((الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون))** (٢) .

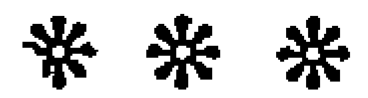
---

(١) الرعد : ٢٨ .   (٢) الأنعام : ٨٢ .

فلا غرو اذا شكا انسان العصر من سعار المادة ، واحس بظمأ شديد الى رحيق الروح وسئم من النزعات انقومية الحادة التى حولت العالم الى غابة كبيرة من سباع البشر ، وبات يئن من نيران الحروب انتى التهمت أخضره ويابسه ، وصار يتلهف على دعوة ربانية انسانية عالمية تمزج بين الروح والمادة ، وتجمع بين الدنيا والدين ، وتؤلف بين القلب والعقل ، وتوفق بين حقوق الفرد ومصلحة المجموع ، وتنقل الناس من سجن الوطنية والقومية الضيقة الى باحة العالمية الفسيحة . ولن يعد ذلك الا فى الاسلام الذى يحمله الأزهر .

هذا الى أن الاسلام الآن فى يقظة ، والمسلمين فى نهضة والشباب المسلم فى صحوة ، تمتد من المحيط الى المحيط . وهم ونحن يملؤنا الأمل بل يغمرنا اليقين : أن الاسلام لابد أن يسود ، وان الدولة الاسلامية لابد أن تعود .

واذ ذاك ستحتاج الى الدعاة والموجهين ، والفقهاء والمشرعين ، فمن ذا يمدها الا الأزهر ؟ .



مقومات النجاح

هذه هى عوامل النجاح ، وبواعث الرجاء ، ودواعى الأمل ، أمام علماء الأزهر وهى عوامل جديرة أن تفتح لهم الأبواب ، وتهيىء لهم الأسباب ، ولكن هذه العوامل لا تؤتى أكلها ، الا اذا

اكتملت لدى علماء الأزهر مقومات لابد منها للنجاح فى رسالتهم ، والقيام بها على الوجه المنشود .

واهم هذه المقومات ما يلى :

١ – الدراسة الواعية للاسلام وللعصر :

المقوم الأول : الدراسة الواعية المتعمقة للاسلام ، بوصفه عقيدة وشريعة ونظام حياة انزله الله ، ليزكى به الأفراد ، ويسعد الأسر ، ويصلح المجتمعات ، ويوجه الحكومات ، ويهدى العالمين الى التى هى أقوم .

ولدى الأزهر الينبوع الصافى الذى يستمد منه المعرفة الصحيحة للاسلام ، وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهذه الكنوز الضخمة من التراث الاسلامى فى كل مجال ، وهذا التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات ، المشرق بالآيات البينات . فلينفض الأزهر الغبار عن التراث العلمى المجيد الذى خلفه السابقون ، ولينتفع بما كتبه ثقات المعاصرين فى الحقل الاسلامى الجديد فى شريعة الاسلام ، وعقيدته ونظامه ، وما ظهر من دراسات حول القرآن والسنة والسيرة والتاريخ .. ومن أولى من الأزهر بدراسة الاسلام دراسة جيدة فاحصة ، وعنده وسائلها ، ولديه أسبابها ومقدماتها ؟ فقد توسع فى دراسة العربية لغتها وأدبها ونحوها وصرفها ومعانيها وبيانها ، وعاش فى كتب التفسير والحديث ، والفقه والتشريع ، وأخذ بطرف من الفلسفة والمنطق .. وضم الى ذلك دراسة العلوم التى يسمونها فى الأزهر « العلوم الحديثة » .

وهى فى الواقع علوم قديمة عرفها المسلمون أيام حضارتهم الزاهرة ، وكانت لهم فيها قدم راسخة ، وابداعات رائعة ، وعنهم أخذها الغرب ، ومنهم اقتبس الحقائق العلمية ، والمنهج التجريبى .

ولابد مع ذلك أن يدرس الأزهر واقع العصر الذى يعيش فيه .

واقع الأمة الاسلامية الممتدة ، وما تملك من طاقات ، وما تمور به أرضها من تيارات ، وما تتعرض له من مشكلات ، وما يقدمه لها الاسلام من حلول .

واقع القوى المعادية للاسلام ، المتربصة بأهله ، من يهودية ، وصليبية وشيوعية ، وما تدبره من مكايد ، وما تخطط له من أهداف ، وما تصطنعه من وسائل ، وما يساعدها من عوامل وعملاء من داخل الأمة .

واقع الأديان والمذاهب المعاصرة ، والفرق المنشقة عن امة الاسلام ، وما تتخذه من غايات وأساليب فى تضليل الأمة ، وتبديد قدراتها ، وتعويق مسيرتها ، وتفريق شملها .

وبهذا يجمع الأزهر بين الأصالة والمعاصرة ، فيحافظ على الماضى ، ولا ينعزل عن الحاضر .

وهذه الدراسة المتكاملة التى تجمع بين القديم والجديد ، وبين المعقول والمنقول ، تحتاج الى مواصلة السهر والعناء : سهر الليل وعناء النهار .

وقد كان من علماء أمتنا وحكمائها من يدرس كل النهار وبعض الليل ، فاذا أوى الى الفراش نام مشغول الفكر والقلب ببعض المشكلات العلمية فيهتدي الى حلها فى نومه ! وكان فيهم من يجوب القفار ، ويركب البحار ، فى سبيل حديث يسمعه أو حكمة ينشدها ، وقد رحل ابو ايوب الأنصارى من الحجاز الى مصر ليسمع من عقبة بن عامر حديثا واحدا عن رسول الله ﷺ فى ستر المسلم على المسلم ، فسمعه وركب راحلته وانصرف الى المدينة وما حل رحله .

وقال الشعبى : لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ، ما رايت أن سفره ضاع . وقد حدث رجلا بحديث ثم قال له : أعطيتكه بغير شيء ، وان كان الراكب ليركب فيما دونه الى المدينة (١) .

وقال سعيد بن المسيب : ان كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد .

وقد رأينا البخارى يحفظ كتب المحدثين كابن المبارك ووكيع وهو ابن ست عشرة سنة ، ثم يرحل فى طلب العلم الى جميع الأمصار : الى مرو ، ونيسابور ، والرى ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، ومصر ، ودمشق ، وقيصارية ، وحمص ، وعسقلان ... وذلك لنعلم مدى الجهد الكبير الذى بذله أسلافنا فى خدمة العلم ورعاية الدين ، وها نحن اليوم قد يسر الله

---

(١) كان الشعبى فى الكوفة .

لنا اسباب العلم ، ومهد لنا سبله ، فأصبح منا دانى القطوف ، قريب المنال ، لا يحتاج منا الا الى الرغبة الصادقة ، والارادة المصممة ، والأمل الطموح ، والا الى تنظيم الوقت ، واعمال الفكر، واطراح العبث ، والبعد عن سفاسف الأمور ، ولهو الحديث . .

* * *

٢ ـ القدوة الحسنة :

والمقوم الثانى للنجاح : هو القدوة الحسنة ، تقدم للناس عن طريق الالتزام بالاسلام والعمل به ، فالعلم الذى يسكن الرأس ، ولا ينفذ شعاعه الى القلب نظريات ضائعة ، ربما كانت وبالا على صاحبها .

وقد اشتد غضب الله على من يأمرون ولا يأتمرون ويعلمون ولا يعملون « **أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب ، افلا تعقلون** » (١) . وكان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع » (٢) .

وقد عاب شاعر الاسلام الدكتور اقبال على المدرسة الحديثة ونظام التعليم الذى استورده المسلمون من أوروبا فقال :

« ان المدرسة الحديثة قد تعلم الشباب التأنق فى الزى ، والتشدق فى الحديث ، ولكنها لا تعلم عينه الدموع ولا قلبه الخشوع » !! .

---

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث زيد بن أرقم .

فاذا كان الأزهري كغيره لا يمتاز بطرف دامع ولا بقلب خاشع ، ولا بعمل صالح ، فماذا بقي له من أزهريته غير العمامة و «الكاكولة» ان بقيتا ؟؟ ... .

انه لا يغني عن المرء أن يحشو رأسه ببعض المعلومات ، ويطلق لسانه ببعض العبارات والمصطلحات ، ففي الحديث النبوي : « العلم علمان : علم على اللسان ، فذلك حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم في القلب ، فذلك العلم النافع » (١) .

وكان عمر يستعيذ بالله من المنافق العليم فقيل له : كيف يكون منافقا وعليما ؟ فقال : عالم اللسان جاهل القلب .

ان الله ضرب أسوأ مثلين لمن علم ولم يعمل : مثله حينا بالكلب ، وحينا بالحمار .

وكان علي كرم الله وجهه يقول : قصم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك ، هذا يغر الناس بتنسكه ، وذاك يضلهم بتهتكه ! .

ان العمل بمقتضى العلم من الضرورات الأولى لمن يحمل رسالة هداية الى الناس ، فالناس لا يؤثر فيهم مجرد العلم ، ومحض القول ، وانما تؤثر فيهم القدوة الحسنة والأعمال الطيبة ، والانفعالات الصادقة ، وقد قالوا : « حال رجل في ألف رجل أبلغ وعظا من مقال ألف رجل في رجل » ! .

---

(١) ابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب من رواية الحسن عن جابر .

ومن حرم العمل بمبادئه التى يدعو اليها ، فهو فى الحقيقة انما ينفر الناس منه ، ويدعوهم الى البعد عنه ، وسيقول لـه الناس : يا طبيب طب نفسك ! ويرددون قول المسيح لعلماء السوء : « الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين ؟ الى متى ترون القذى فى أعين الناس ولا تبصرون الخشبة فى أعينكم » ؟ ! .

ان الهفوة التى تصدر عن صاحب دعوة ينظر الناس اليها بالمجهر « الميكروسكوب » ، وزلة العالم يضرب بها الطبل ، وزلة الجاهل يخفيها الجهل ، والعظيم اذا صدرت منه صغيرة كبرت ، والحقير اذا سقط فى كبيرة صغرت ، ونقطة المداد فى الرقعة البيضاء غيرها فى الرقعة السوداء ، هى فى الأولى أظهر ما تكون ، وفى الثانية أخفى ما تكون .

* * *

٣ ـ اخلاق العلماء :

والمقوم الثالث : يتمثل فى مكارم الأخلاق : اخلاق العلماء ، التى الف فيها السلف ، واتضحت معالمها أمامهم ، فبالخلق يؤثر الرجل فى بيئته ، ويصمد أمام العواصف ، ولا ينقطع فى وسط الطريق .

وأهم ركائز الأخلاق التى نريدها مجسدة فى كل عالم أزهرى ، وبالتالى فى كل عالم مسلم هى :

(أ) الشجاعة :

ونعنى بالشجاعة من أخلاق العلماء : شجاعة العالم فى قول

الحق والثبات عليه ، والصبر على ما يصيب المرء فى سبيله .
فذلك لن ينقص من عمره ، ولن يحرمه رزقا هو له ورحم الله
احمد شوقى حين قال :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا ان الحيـــاة عقيـــدة وجهـــاد !

وقد ضرب علماء السلف فى ذلك اروع الأمثال ... ومنهم
الأئمة الكبار الذين تعرضوا من ولاة غاشمين ، للضرب والأذى ،
من أجل اقوال لهم أو مواقف أصروا عليها ، ولم يتنازلوا عنها ،
حتى أن الامام أبا حنيفة مات فى الســجن . حين طلبته الدولة
للقضاء فرفض .

وأما ما أصاب احمد بن حنبل فى فتنة « خلق القرآن » من
المحنة والأذى والسجن والضرب ، لشجاعته وثباته على موقفه فى
مواجهة الموقف الذى تتبناه الدولة ورجالها ، وعلى راســـهم
الخليفة — فهو معروف مشهور .

ووقف عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء فى زمنه
مواقف مشهورة من أمراء المماليك ، حتى أنه عرضهم للبيع باعتبارهم
ملك بيت مال المسلمين ، حتى قيل عنه : بائع الملوك ! .

وامتحن ابن تيمية أكثر من مرة ، وكاد له خصومه حتى
ادخل السجن ، وقدر له أن يموت فيه ولكنه ظل على رأيه ،
مستمسكا بالحق الذى يؤمن به ، غير مبال بما أصابه فى سبيل الله .
قائلا كلمته الشهيرة : ماذا يصنع خصومى بى ؟ سجنى خلوة !
ونفيى هجرة ! وقتلى شهادة ! .

ولما أدخلوه سجن القلعة فى دمشق ، ورأى سورها ، تلا :
« فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » (١) .

(ب) الزهـــد :

ومن أخلاق العلماء : الزهد فى الدنيا ، والزهد لا يعنى الفقر من المال ، أو تحريم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، فنعم المال الصالح للمرء الصالح ، وقد كان من الصحابة — بل من الأنبياء — رجال أغنياء لم تلههم أموالهم وثرواتهم عن ذكر الله .

انما الزهد المراد : زهد القلب ... أن يملك الدنيا ولا تملكه ، ويستخدمها ولا تستخدمه ، ويجعلها فى يــده لا فى قلبه ... الا يتخذها ربا فتتخذه عبدا لها .

الزهد الا يجعل الدنيا اكبر همه ولا مبلغ علمه ، ولا محور تفكيره .. وأن يركلها بقدمه اذا تعارضت مع عقيدته ، واذا عرض له أمران : أحدهما للآخرة ، والآخر للدنيا ، آثر الآخـــرة على الدنيا ، ترجيحا لما يبقى ، على ما يفنى .

الزهد أن يكون المرء بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده .

هذا الزهد هو الذى يصغر المال والجاه والمنصب والشهرة فى عين صاحبه ، فلا يرى الدنيا كلها الا جناح بعوضة ، فماذا عسى أن يكون نصيبه منها ؟ !! .

---

(١) الحديد : ١٣ .

هذا الزهد هو الذى جعل بعض علماء السلف يقول للخليفة ــ وقد قال له : ارفع الينا حاجتك ..

قال : أن تدخلنى الجنة ، وتزحزحنى عن النار ! قال : ذاك ليس الى . قال : مالى حاجة غيرها .

قال : اسأل حاجتك من الدنيا . قال : انى لم اسألها من ربى ، فكيف أسألك اياها ؟ ! .

وهو الذى جعل بعض علماء الخلف يمد رجليه فى درسه أمام الباشا ، على عادته مع تلاميذه ، غير خائف ولا متهيب ، فلما بعث اليه الباشا بعد انصرافه بصرة من الدنانير ، ردها اليه قائلا : قل للأمير : ان الذى يمد رجليه لا يمد يديه ! .

(جـ) الاخلاص :

فلا ينبغى أن يطلب الأزهرى العلم لدنيا يصيبها ، أو يعلمه للناس لجاه يدركه ، ولا ينبغى أن يكون كل همه أن يقبل عليه الناس وأن يلتفوا حوله ، وتنطق السنتهم باطرائه . فان هذه النية تفسد عليه أمره ، وتحوله عن ابتغاء وجه الله الى ابتغاء وجوه الناس ، فان الأعمال والعبادات أشباح وصور ، وروحها وجود سر الاخلاص فيها ، والدنيا كلها ظلام الا موضع العلم ، والعلم كله ضياع الا موضع العمل ، والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص « **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** » (١) .

---

(١) البينة : ٥ .

وفى الحديث : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » — يعنى ريحها — (١) . ويقول الحديث الآخر « لا تعلموا العلم لتباهـوا به العلماء ، ولا تماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار » (٢) .

(د) العـزة :

ومن أخـلاق العلماء : العزة التى هى من أخص فضـائل المؤمنين « **ولله العزة ولرسـوله وللمؤمنين** » (٣) والعلمـاء هم صفوة المؤمنين .

والعزة شىء غـير الغرور أو العجب أو الكبر ، وهى لهذا لا تنافى فضيلة التواضع التى تحدثنا عنها .

هى عزة فى مواجهة المستكبرين بالسـلطان ، أو المتعالين بالثروة ، أو المباهين بالقوة ، أو المفاخرين بالنسب ، أو المكاثرين بالعدد ، أو غير ذلك من أعراض الدنيا .

فهى عزة بالعلم والايمان ، وليست عزة بالاثم والعدوان ، عزة تلتمس من الله ولا تطلب من الناس ، ولا عند أبواب السلاطين « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** » (٤) .

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه باسناد جيد .
(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .
(٣) المنافقون : ٨   (٤) فاطر : ١٠

سأل الحجاج خالد بن صفوان : من سيد البصرة ؟ فقال له : الحسن (البصرى) فقال : وكيف وهو مولى ؟ — اى ليس من قبائل العرب ذوى الحسب . فقال : احتاج الناس اليه فى دينهم ، واستغنى عن الناس فى دنياهم ، وما رأيت احدا من اشراف أهل البصرة الا هو يروم الوصول فى حلقته اليه .. يستمع قوله ويكتب علمه ، فقال الحجاج : هذا والله السؤدد ! (1) .

وهذه الأخلاق القوية هى التى جعلت مثل الشيخ المراغى يقول عن الحرب العالمية الثانية : انها حرب لا ناقة للمسلمين فيها ولا جمل .... فيثير ثائرة الانجليز وأعوانهم ! وجعلت الشيخ عبد المجيد سليم يقول كلمته التاريخية متعجبا ومعجبا : تقتير هنا واسراف هناك ! .

ولما لوح له بعضهم بالعزل قال : أيمنعنى ذلك من التردد بين بيتى والمسجد ؟ ! قيل : لا . قال : فلا ابالى بعد ذلك بما يكون .

وهى التى جعلت الشيخ محمد الخضر حسين يقول كلمته المشهورة : ان لم يزد الأزهر فى عهدى فلا ينقص منه ! .

* * *

٤ — الدعوة والحركة فى المجتمع :

المقوم الرابع هو : الدعوة الدائبة ، والحركة الدائمة ، لهداية الحائرين ، وانقاذ الضائعين ، وتنبيه الغافلين . فلا يجوز لعلماء الأزهر أن يعيشوا فى عزلة من المجتمع ، وهم قلبه النابض ،

---

(1) جامع بيان العلم جـ ٧٤/١ ، ٧٥ .

ولسانه الناطق ، أو يتصلوا به اتصال الجار العادى بالجار ، وهم أصحاب الدعوة الربانية ، وحملة الرسالة المحمدية .

يجب عليهم أن يعيدوا عهد أسلافهم من العلماء المعلمين . فقد كان عالم الأزهر من قبل مرشدا دينيا ، وموجها شعبيا ، ورائدا اجتماعيا ، ومربيا روحيا ، وقائدا سياسيا .

كان يعيش فى قومه « مولد نور » يربى الصغير ، ويعلم الكبير ، ويجيب من سأل ، ويفتى من استفتى ، ويؤم المصلين ، ويصلح بين المتخاصمين ، ويؤدب المقصرين ، ويذكر الغافلين ، ويهدد الظالمين ، وينصر المظلومين .. يهش لمن يحضر ، ويسأل عمن يغيب ، ويعود من يمرض ، ويعقد عقد من يتزوج ، ويؤذن فى أذن من يولد ، ويصلى صلاة الجنازة على من يموت ! .

فهو فيهم كالأب فى أسرته وأولاده ، ينصح لهم ويسمعون ، ويأمرهم ويطيعون . يحبهم ويحبونه ، يفرحون بـــه اذا حضر ، ويتشرفون اليه اذا غاب ، ويحزنون عليه اذا أصيب ، ويعيشون فى ذكراه وسيرته اذا مات .

* * *

● **اذا غاب الأزهر :**

أما اذا غاب الأزهر عن الساحة ، فانها لن تبقى خالية ، سيأتى من يشغلها . فالحياة الانسانية لا تقبل الفـــراغ ، فاذا لم تملأها بالحق ملأها الشيطان بالباطل .

فاذا صمت الأزهر عن كلمة الصدق فسيتكلم دعاة الزور ، واذا قصر أو تخلى عن دعوته ، فثمت من يعمل ليل نهار .

ومن للناس اذا فرط الأزهر او غاب الأزهر ، وهو الامام والأسوة ؟ وقد قال الشاعر :

بالملح يصلح ما يخشى تغيره   فكيف بالملح ان حلت به الغير ؟ !

فى غيبة الأزهر وعلمائه عن ساحة الدعوة سيتيح الفرصة لألوان ثلاثة من التفكير ، كل لون منها يوجه شريحة كبيرة من المجتمع .

١ ــ ظهور التفكير المادى :

اللون الأول : التفكير المادى الزاحف من الشرق فى ثوب شيوعى يسارى ، أو من الغرب فى شكل يمينى راسمالى . وأيا كان مصدره ، ففى طيه الشك الذى يزلزل العقيدة ، او العلمانية التى ترفض الشريعة ، أو التحلل الذى ينكر الفضيلة . وفى هذا الضرر كل الضرر على جميع المقدسات من العقائد والشعائر والتقاليد والأخلاق « **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا** » (١) .

وأكثر ما يشيع هذا التفكير بين رضعاء الثقافة الغربية ، وخريجى المدارس الأجنبية والتبشيرية ، ودعاة الأفكار الهدامة ، والمذاهب المستوردة ، والمفتونين العصريين من عباد أوروبا وأمريكا وروسيا .

---

(١) النساء ١٣٦ .

٢ ـ التفكير المخرف :

واللون الثانى : التفكير الدينى الخرافى ، وفى طيه الأوهـــام والخرافات ، والبدع والضلالات ، وأكثر ما يشيع هذا بين العامة من الفلاحين والعمال ، وأشباه العامة من أنصاف المتعلمين ، وبعض المخدوعين والمســـحورين من المثقفين . وقادة هذا التفكير هم المبتدعة من الدراويش ومشايخ الطرق ، وأدعياء التصوف ، والذين ينتشرون فى البلاد انتشار « الانكلستوما والبلهارسيا » يفعلون فى اضعاف الأفكار والنفوس أكثر مما تفعله الأمراض المتوطنـــة فى اضعاف الأجساد .

ذكرهم رقص وزمـــر ، وعلمهم تخريف وجهـــل ، وكراماتهم تضليل وافك . يعطون العهود لأخذ النقود ، وينشئون « الموالد » لكسب « العوائد » ويقيمون الليالى لملء البطون .

وقالوا سكرنا بحب الاله   وما أسكر القوم الا القصع !

ولسنا بهذا نطعن فى التصوف السنى السليم ، الملتزم بالكتاب والسنة ومنهاج السلف فى العلم والتربية والسلوك ، وهو التصوف الذى يقوم على تصحيح النية ، وتجريد التوحيد ، وموافقة السنة ، واحترام الشريعة ، والرجوع الى أهل العلم فى النوازل والملمات ، والتوقف عند عروض الشبهات ، ويعنى بأمراض القلوب وعلاجها وآفات الأنفس ومداخل الشيطان اليها ، هذا التصوف لا ننكره ، انما ننكر تصوف الأدعياء ، الذين اتخذوا من دين الله مصيدة لدنيا الناس ! .

٣ ـ التفكير الدينى المتطرف (*)

التفكير الدينى المتطرف : تفكير الغلاة والمتنطعين ، الذين يريدون أن يحجروا ما وسع الله ، وأن يعسروا ما يسر الدين ، ولا يفرقون بين الظنى والقطعى فى الأدلة ، ولا بين المحكم والمتشابه فى النصـــوص ، ولا بين الملزم وغير الملزم فى الأحكام ولا بين العوام والخواص فى الناس ، ولا بين العزائم والرخص فى الفتوى . فتراهم يطالبون الناس بالسنن كأنها فرائض ، ويحاسبونهم على المكروهات كأنها محرمات ، وينكرون المختلف فيه كأنه مجمع عليه .

وتراهم يسيئون الظن بالآخرين ، كأنهم وحدهم الناجون ومن سواهم الهالكون ، لا يلتمسون لأحد عذرا ، ولا ينظرون الى الشيء الا من جانبه الأسود .

لا يعرفون ادب الخلاف ، ولا يقيمون وزنا للرأى الآخر ، كأنما شعارهم : رأينا صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأى المخالفين جميعا خطأ لا يحتمل الصواب ! على خلاف ما كان عليه السلف الذين اختلفت آراؤهم ولم تختلف قلوبهم ، وصلى بعضهم وراء بعض ، واعتبرت الأمة اختلافهم رحمة ، وتنوع اجتهاداتهم مرونة وسعة ، وكان هذا التعدد والتنوع ثروة ضـــخمة للأمة فى فقهها وفتواها وقضائها .

***

الأزهر والنقد الذاتى

احتفل الأزهر ، وشاركه العالم الاسلامى كله ، بمرور الف سنة شمسية على بنائه فى قلب القاهرة مركزا للتعليم والهداية .

ومن حق الأزهر أن يحتفل بعيده الألفى ، وان يقف رافع الرأس ، شامخ الأنف بما قدم للاسلام والعربية طوال قرون عشرة ، كان فيها جامعا للعبادة ، وجامعة للعلم ، ومعهدا للتربية ، وحصنا للدين ، وقلعة للغة ، وملاذا للشعب ، وقبلة ثقافية لأئمة الاسلام فى كل مكان .

ومن حق المسلمين أن يحتفوا بالأزهر ، وينوهوا بما قدمه لهم عبر تاريخه المديد من رعاية لأبنائهم الذين استقبلهم — من انحاء الأرض — تلاميذ مبتدئين ، وردهم علماء معلمين ، ودعاة للحق ، وهداة للخلق ، وحراسا للعقيدة ، وحماة للشريعة ، ورعاة للأخلاق .

وقد كتب فى هذا كثيرون وكتبت معهم فى « الكتاب التذكارى للأزهر » بهذه المناسبة ، ولكنى أريد للأزهر أن يقف اليوم مع نفسه وقفة أراها واجبة ، وهى وقفة للتأمل والمراجعة ومحاسبة النفس رغبة فى تلافى القصور واستكمال النقص ، ومحاولة للوصول الى الكمال المستطاع للبشر .

ومحاسبة النفس مبدأ اسلامى أصيل ، له جذوره فى القرآن والسنة وهدى السلف ويعبر عنه المحدثون بـ « النقد الذاتى » وأولى الناس بتطبيق هذا المبدأ هو الأزهر . وسنحصر الحديث هنا عن الأزهر باعتباره معهدا وجامعة .

فلابد من وقفة متأنية بعد التوسع الأفقى فى فتح المعاهد والكليات .. وقفة يسأل الأزهر فيها نفسه : هل أدى هـذا التوسع غرضه أم لا ؟ هل الأولى توجيه العناية الى الكم أم الى الكيف ؟ هل المهم أن اخرج الفا ليس فيهم أكثر من عشرة من الدعاة القادرين الصادقين أم أن أخرج مائة فيها خمسون من هذا النوع ؟ الأمر يحتاج الى دراسة ومراجعة .. ثم لابد من وقفة لمراجعة أمر القديم والجديد فى الأزهر : ماذا يبقى من القديم ، وماذا يأخذ من الجديد ؟ .

* * *

● **انتقاء الطلاب :**

وكثيرا ما شكا المخلصون الواعون من علماء الأزهر من نوعية الذين يلتحقون بمعاهد الأزهر ممن تضيق بهم المدارس الاعدادية ونحوهم ، فلا يجدون ملجئا الا الأزهر .. حتى قال بعض العلماء والأدباء من كثرة ما رأى من هبوط المستوى ، وســوء النتائج : ان الأزهر أصبح يقبل المتردية والنطحية وما أكل السبع ! فقلت له مستدركا : بل ما يعاف السبع أن يأكله ! .

ولهذا كان الانتقاء ضرورة لا مفر منها ، فاذا كان الأزهر مصنعا للدعاة ، فليست كل خامة بشرية صالحة لأن يصنع منها داعية .

واذا كان الأزهر بمثابة جيش الخلاص ، فليس كل انسان أهلا للتجنيد فى هذا الجيش ، لابد من شروط ، ولابد من فرز وفحص ، ولابد من فترة اختبار ، يستمر فيها الصالح للجندية ، ويعفى من ليس لها أهلا .

ولقد سمعت من استاذنا الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله — حين كان أستاذا بكلية أصول الدين — محاضرة تحدث فيها عن كلية تبشيرية فى احدى الكنائس فى فرنسا ، زارها لأول مرة ، فرأى فيها عجبا ، رأى طلابا حلقت شعور رؤوسهم بالموسى الا شريطا ضئيلا دائرا حول الرأس ، وحياهم فلم يردوا عليه التحية ، وحاول محادثتهم فلم يجيبوه ببنت شفة ! وعجب لهذه الظاهرة أشد العجب فسأل المدير عن سر هذا فأخبره : انهم فى فترة صمت طويل ، يحرم عليهم فيه الكلام المعتاد حرمة تامة اختبارا لأعصابهم ، وامتحانا لارادتهم وسلوكهم فى هذه الفتـــرة . وأخبره المدير أن فترة الامتحان ستة أشهر ، تنتهى بغربلة وتصفية لا يبقى بعدها الا الصالحون للتبشير بالمسيحية فى الأرض !! .

هكذا يشدد القوم فيمن يعدونهم للتبشير بدينهم ، فما بالنا نحن نأخذ كل من هب ودب ، دون انتقاء ولا تمييز ؟ ! .

وبعد هذا الانتقاء لابد من رعاية وتربية طويلة الأمد ، عميقة الجذور ، لا تجعل مجرد حفظ المعلومات ، وتحصيل المعرفة غاية فى نفسه ، فمن حصلها وافرغها فى ورقة الاجابة عند الامتحان ، فهو الطالب الناجح ، بل المتفوق المتألق .

والحق أننا نريد مسلما متكامل الشخصية ، له عقل المسلم المتفقه ، وله قلب المسلم التقى ، وله خلق المسلم الملتزم ، وله حكمة المسلم الداعية ، وعنده ايجابية المسلم المجاهد ، ولديه ثقافة المسلم المعاصر .

وهذا يقتضى اعداد برامج تثقيفية وتربوية متنوعة ومتكاملة ، ترعى أبناء الأزهر ، وتستبقى العناصر الطيبة منهم ، وترتقى بهم فى مدارج السمو الاسلامى المنشود ، وتطرد العناصر الخبيثة او الضعيفة التى لا تصلح لحمل الرسالة .

فلا يجــوز أن يبقى فى الأزهر من يفرط فى اداء الصــلوات المفروضة ، أو يعرف بســوء السيرة ، أو يؤخذ عليه شذوذ فى الطبع ، وعوج فى السلوك ، يجعله بغيضا الى الناس .. الى غير ذلك من النقائص العقلية أو النفسية أو الخلقية التى يعاب بها من يحمل رسالة هداية الى الناس .

واذا عجز الأزهر عن تنفيذ ذلك فى معاهده وكلياته عامة ، وكليات الدعوة خاصة فانه أشبه بمن يخوض معركة بجنود مصابين بالعاهات ، ضعفاء فى التسليح ، قاصرين فى التدريب ، فى مقابل جند قوى الاعداد ، كامل التسليح ، مستكمل التدريب ، فلا تكافؤ ولا تقارب ، فكيف تكون النتائج ؟ ! .

* * *

● **انتقاء الأساتذة :**

واذا كان انتقاء الطلاب للأزهر واجبا ، فأوجب منه انتقــاء أساتذته ، الذين يتخرج الطلاب فى حضانتهم ، ويتلقون عنهم العلم والعمل ، والفكر والسلوك .

وانما نجح الأزهر قديما ، لأن الله هيأ له شيوخا كانوا علماء ومربين معا ، كان طالبهم يأخذ منهم العلم لعقله ، والخشية لقلبه ، والتقوى لسلوكه ، والزهد لمعيشته ، والوراع لتعامله . وكانت علاقته

بطلابه علاقة المعلم بتلاميذه من الناحية العلمية ، والشيخ بمريديه من الناحية الروحية ، والأب بأبنائه من الناحية العاطفية .

هؤلاء الربانيون الذين علموا وعملوا وعلموا هم الذين صنعوا الأزهر القديم ، وبمثلهم يرتجى أن يصنع الأزهر الحديث .

اما الذين غزت عقولهم الشكوك والشبهات ، او لوثت قلوبهم الأهواء والشهوات ، فلا يصلحون بحال أن يكونوا من هيئة تدريس الأزهر ، لأن المعلم المرتاب لن يمنح تلميذه يقينا ، والمعلم المدخول السلوك لن تؤخذ منه اسوة حسنة ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، وكل اناء ينضح بما فيه . ولن يستقيم الظل والعود أعوج !

وهذا ينطبق على مدرسى المعاهد ، واساتذة الكليات جميعا .

فاذا كانت الجامعة تتعامل مع الطالب فى مرحلة نضوجه ، فان المعاهد تتعامل معه فى مرحلة تاسيسه ، وكلتا المرحلتين لها اهميتها وخطرها .

وهذا ينطبق كذلك على اساتذة المواد الأصلية من علوم الدين والعربية ، وعلى معلمى المواد الأخرى التى يسمونها « الحديثة » وما هى بحديثة ، فهى علوم أتقنها المسلمون وتفوقوا فيها ، وكانوا معلمى العالم لها عدة قرون ، وكانت كتبهم — المؤلفة بالعربية — مراجع معتمدة للعالم كله .

ولا يجوز أن يدخل على الطالب مدرس للطبيعة أو الأحياء أو الجيولوجيا ، ليهدم ما يقوله معلم التفسير أو الحديث أو الفقه .

فهذا لا ينتج الا البلبلة ، واضطراب الفكر والشخصية لدى الطالب .. أو انهزام الفكر الدينى امام الفكر الآخر ، اذا كان مدرس المواد الحديثة الدن بحجته ، واقدر على الاقناع والافهام من صاحبه الذى يتكلم بلغة غير لغة العصر .

وما قلناه فى شـأن مدرسى « العلوم الحديثة » فى معاهـد الأزهر ، نقوله فى شأن مدرسى الكليات الحديثة فى جامعة الأزهر (الطب والصيدلة والهندسة والزراعة والتجارة ونحوها) ..

فلا يجوز ان يقبل او يبقى فى هذه الكليات من يجهل رسالة الاسلام وشمولها ، وتوازنها وعمقها وتفوقها على كل الديانات والفلسفات ، ولا من يرتاب فى ذلك ، بله من ينكر هذه الرسالة ويرفضها ، ومثله من يقدم من سلوكه مثلا سيئا لطلابه ، كالذى يترك الصلاة ، أو التى تخلع الحجاب ، بدعوى أن هذه حرية شخصية ، فالاسلام لا يفرق بين السلوك الشخصى المعلن وبين الجانب الاجتماعى فى تقويم الناس ، وترشيحهم للمناصب والأعمال . والحق أن باب الأزهر يجب ان يغلق فى وجه كل رجل يستهين بأمر الصلاة او امرأة تستهين بأمر الحجاب ، ولا ننسى هنا أن هذه الكليات فى القاهرة أصبحت أكثر عددا من الكليات الأصلية ، وفيها من الطلاب عدد أوفر ، وفيهم عدد غير قليل ممن يملكون من التفوق العلمى ، والاستقرار النفسى ، والتمكن الاجتماعى ، ما يؤهلهم للقيام بدور مرموق لخدمة الاسلام ودعوته وأمته .

وقد لاحظت خلال السنوات الأخيرة — ان جل الطلاب الذين يقومون بدور بارز فى نشاط الجماعات الاسلامية فى جامعة الأزهر — وفى غيرها أيضا — من طلاب الكليات العلمية هذه . لهذا كانت العناية بها لازمة ، لابراز طابعها الاسـلامى علما وعملا ، حتى لا تكون مجرد نسخة مكررة من زميلاتها فى الجامعات الأخرى .

* * *

● **اهمية الجامعة :**

يجب أن ينتهى اللغط حول تطوير الأزهر ، فهو — أيا كانت دوافعه — قد فتح للأزهر أبوابا جديدة للعمل ، وهيأ له جامعة ضخمة يمكنها أن تؤدى رسالة كبرى لمصر وللاسلام وللعالم ، اذا أحسن الأزهر الاستفادة منها ، وأزال الازدواج من داخلها . فالواقع أنها جامعتان فى جامعة ، جامعة قديمة للمشايخ ، وجامعة حديثة للمدنيين أو الأفندية ! حتى أن لكل واحدة منهما موقعها ومكانها اللائق بها .. فواحدة فى حى الأزهر القديم : الدراسة . وأخرى فى امتداد القاهرة الجديد : فى مدينة نصر .

والمقررات الدينية التى تدرس فى الكليات الحديثة : الطب والهندسة والزراعة والصيدلة ونحوها — مقررات لا تكفى — فى مجموعها — لتهيئة داعية مسلم ، طبيب أو مهندس .. الخ ؟ كما هو الشأن فى دعاة الأديان الأخرى . ولا تؤدى ما يراد من مثلها من تكوين عقل اسلامى يفهم فلسفة الاسلام ووجهة نظره فى القضايا الكبرى عامة وفيما يتصل بتخصصه ومجال دراسته خاصة .

ولقد طلب الى احد مديرى جامعة الأزهر بعد بحث ومناقشة معه : أن اكتب صفحات موجزة مركزة عما يجب أن تكون عليه المقررات الاسلامية فى الكليات الحديثة فى الأزهر ، والح على فى ذلك ، ولكنى ترددت فى الاستجابة قائلا له : اننى أعتقد ان نصيب مثل هذه الورقات أن تضيع فى الأدراج بين الأوراق الكثيرة الأخرى ! الا أنه أكد لى أنها ستكون موضع الدراسة والاعتبار .. وكتبتها وسلمتها ، وكان مصيرها ما توقعته : اختنقت هناك حيث حبست بعيدا من الضياء والهواء !

وتالله انه لحرام : أن تضاف هذه الكليات الى الأزهر ، ويقال إن الهدف منها تخريج مسلم متخصص قادر على الدعــوة الى الاسلام بأسلوب العصر ، ثم لا يدرس من الاسلام الا قشــورا لا تنقع غلة ، ولا تشفى علة ، وكثيرا ما يراد منها توزيع أكبر عدد من الأوراق أو المذكرات المطبوعة على أكبر عدد من الطلاب !

الا أن من الضرورى اعادة النظر فى هذه القضية ، واعطائها من الاهتمام ما تستحقه .

ومن الضرورى كذلك اذابة الفوارق بين أبناء الجامعة الواحدة، وصهر الجميع فى بوتقة الأزهر الواحد . وهذا يقتضى أن يكــون الجميع فى مكان واحد ، يلتقى فيه الأساتذة والطلاب فى نشاطات مشتركة ، ويتبادلون فيها الأخذ والعطاء ، والتأثر والتأثير .

* * *

● مراجعة المناهج :

مما يجب مراجعته والنظر فيه : مناهج الأزهر ومقرراته الدراسية . ففى الأزهر قديم وجديد ، وكلاهما يحتاج الى اصلاح وتسديد .

أما القديم فى مناهج الأزهر ومقرراته ، فقد بقى على قدمه، لم يطرأ عليه تغيير يذكر رغم ما سموه : « تطوير الأزهر » .

ويبدو ان خوف مشايخنا من عواقب التطوير وآثاره ، جعلهم يعضون بالنواجذ على القديم الذى تميزوا به حتى لا يضيع ، فتركه لهم « المطورون » كما هو .

● علم التوحيد :

خذ مثلا : علم التوحيد والعقائد . وانظر معى نظرة علمية موضوعية محايدة فى مناهجه وكتبه : ترى هل مناهج التوحيد وكتبه فى الأزهر ، قادرة على تثبيت العقيدة لدى المسلم ، أو الدفاع عنها أمام الملحد او المتشكك ؟

ان كثيرا من القضايا التى تثيرها ، والأدلة التى تقدمها . لم يعد مما يهم العقل المعاصر . وكثير منها يعتبر من رواسب الجدل التاريخى بين الفرق بعضها وبعض ، ومن مخلفات العقل اليونانى ومن تأثر به ايجابا وسلبا . وأولى من ذلك دراسة التوحيد من بينات القرآن الكريم ، وصحيح السنة النبوية ، وما فيهما من

براهين بعيدا عن اللعب بالألفاظ والاغراق فى المجالات ، وهو ما الف فيه العلامة اليمنى ابن الوزير كتابه القيم « ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان » .

واسجل هنا تجربة ذكرها شيخنا الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فى كتابه : « أوروبا والاسلام » قال :

« منذ سنوات جاء أحد الأمريكان ليمكث فى مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الاسلام ، واتصل بالهيئات التى تمثل الاسلام ، فبلغت الحيرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الاسلام » .

ومن الطبيعى أن يتجه الذهن الى كتب علم الكلام ، فهى كتب الدفاع عن العقيدة .. ولكن اذا نظرنا فى كتب علم الكلام نجد انها جدال لا ينتهى بين الذين يبحثون فيه ، بالزيغ ، وابتغاء الفتنة ، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهى .

ثم هى تصور — على الخصوص — المستوى الثقافى للعصور الوسطى ، ولا تمت بصلة الى الأبحاث الحديثة . ومن الطبيعى ان تكون كذلك لأنها ألفت فى العصور الماضية ، وما ألفت منها حديثا ، ألفت على نمطها اتباعا للآباء والأجداد ، وبغضا للخروج عن المألوف ..

واذا لم نأخذ الدين من كتب علم الكلام فهل نأخذه من كتب التفسير ؟!

لقد انتهى تفسير القرآن الى أن أصبح مسرحا يتبارى فيه النحويون واللغويون وبلاغيو العصور المتأخرة ، وغشت هـذه النواحى على الهداية لما أنزل الكتاب من أجله أى الهداية للأقوام .

لقد درست التوحيـد فى الأزهر خلال دراستى فى المعاهـد الابتدائية والثانوية وكلية أصول الدين .. درسته فى مذكرات ألفها أساتذتنا .. ودرسته فى كتب خلفها السابقون ، مثل شرح الجوهرة للقانـى .

ثم درستـه بعد فى العقائـد النسفية ، وشرحها للسعـد التفتازانى ، وحاشية على الشرح للخيالى ، وأخرى للعصام ، وحاشية على الحاشية لعبد الحكيم السيالكوتى .

وكانت رياضة ذهنية ممتعة حقا ، ونحن نحلل الألفـاظ ، ونناقش العبارات والأفكار وننتقل بين المتن والشرح والحواشى الثلاثة فى صفحة واحدة . وكثيرا ما كنا نبقى فى مناقشة الجملة أو الفقرة القصيرة أياما أو أسابيع حتى نهضمها . وأذكر أن الفقرة الأولى من العقائد « حقائق الأشياء ثابتة ، والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية » أخذت منا أسابيع حتى انتهينا منها !!

ولكن هل استخدمنا هذا فى تعليم العقيدة الاسلامية للناس ؟ أو حتى فى الدفاع عنها أمام ملاحدة العصر ؟؟

أعتقد أن الجواب بالنفى .

ذلك أن لكل عصر مشكلاته العقلية التى يهتم بها ، وله أدواته فى فهمها وعرضها ، وله أسلوبه فى معالجتها .

وقد اهتم المتقدمون من علمائنا بقضايا عصرهم التى شغلتهم ، وعالجوها بمنطقهم ، ولغة زمانهم :

فلماذا لا نهتم نحن بقضايا زمننا ، ومشكلات عصرنا ؟ ولماذا لا نعالجها بأسلوبنا ولغة حياتنا ؟

لقد ألف ابن حزم « الفصل فى الملل والنحل » وألف الشهرستانى كتابه « الملل والنحل » وألف ابن تيمية « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » .

واليوم ينبغى أن نعرف ملل العصر ونحله ، ينبغى أن نعرف ديانات العصر الكبرى الكتابية (كاليهودية والنصرانية) والوضعية (كالهندوسية والبوذية) ونعرف المذاهب الأيديولوجية الكبرى مثل الماركسية والرأسمالية . ونعرف الفلسفات المعاصرة : كالوجودية والعدمية وغيرها .

على أن علم التوحيد — أو علم الكلام كما كان يسمى — انما نشأ ونما للدفاع عن العقيدة ضد مطاعن الزنادقة ، وشبهات المبتدعين ، وأقاويل الفلاسفة باستخدام سلاحهم نفسه . ولم يقصد به أن يتخذ لاثبات العقائد وتقريرها .

لقد تعبنا فى فهم مشكلة « الذات والصفات » : هل صفات

الله تعالى عين ذاته سبحانه أم هى غير ذاتـه تعالى ؟ أم هى لا عين ولا غير ؟ خلاف بين المعتزلة والأشاعرة وغيرهم . طال فيه الجدل ، وحمى فيه الوطيس ، وشغل به العقل الاسلامـي قديما ، وشغلنا معه حديثا ، دون جدوى .

وقد تفرع عن هذه المشكلة مشكلة أخرى أدهى وامر ، هى مشكلة القول بـ « خلق القرآن » وما اثارته من جدل ، وما هيجته من فتن ، وما سببته من محن ، كانت الأمـة فى غنى عنها : هـل القرآن الكريم قديم أم مخلوق ؟ واذا كان قديما فكيف يكون مع الله قديم ؟ واذا كان مخلوقا ، فكيف وهو كلام الله ؟

وكان أولى من ذلك اخذ العقائد فى شأن الألوهية بالتسليم من الوحى ، دون بحث فى معرفة الكنه ، فنحن لم نعرف حقيقة حياتنا : حقيقة أنفسنا بعد ! ولا زال الانسان — فى نظر كبار علماء الكون الى اليوم — ذلك المجهول .

ومثل ذلك العلاقة بين الارادة الالهية والارادة البشرية ، وهى مشكلة القدر أو الجبر والاختيار ، وماذا لله تعالى ؟ وماذا للانسان ؟ وهى مسألة حيرت الفلاسفة من قبل ، وستحيرهم من بعد .

ان هذا البحر الخضم من الجدل والبحث المتعمق فى الجانب الالهى ، قد سبح فيه المتكلمون من كل الفرق حتى كلوا ، وغاصوا حتى عيوا وملوا ، ولم يحصلوا فى النهاية على شىء ذى بال ، يستطيعون أن يهدوا به كافرا الى اسلام ، أو حائرا الى ايمان ، أو شاكا الى يقين ، أو يزيدوا به مؤمنا ايمانا ومهتديا هدى .

بل لم يستطيعوا ان يحصلوا لأنفسهم على ما يثلج به الصدر ، ويطمئن به القلب حتى تمنى بعضهم فى آخر عمره ايمانا كايمان العجائز !

* * *

● علم الفقه :

ومما ينبغى اعادة النظر فيه : علم الفقه ، وهو العلم الذى يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة باحكام الشرع ، سواء منها ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى ، وهو ما ينظمه فقه العبادات ، أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين افراد اسرته وهو الزواج وما يترتب عليه ، أو ما يسمى « الأحوال الشخصية » أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض وهو ما يسمى « المعاملات » ويدخل فى القانون تحت اسم « القانون المدنى » أو ما يتصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يسمى فى الفقه « الحدود والقصاص والتعزير » ويدخل فى القوانين تحت عنوان « التشريع الجنائى » أم ما يختص بالصلة بين الدولة والشعب أو بين الحاكم والمحكوم وهو مايسمى « السياسة الشرعية » ويسمى عند القانونيين « القانون الدستورى » أو « الادارى » ، وهناك ايضا الجهاد والسير وهو ما يدخل تحت اسم « العلاقات الدولية » .

وهذا العلم فى حاجة الى أن ينظر فى مناهجه ومقرراته وكتبه ، ليحقق هدفه فى ضوء المبادىء التالية :

١ — أن نصله بالواقع ، ونربطه بالحياة . على معنى ان ندرس حكم الشرع فى واقعنا لا فى واقع من سبقونا ، ونجيب عن الأسئلة التـى يطرحها عصرنا ، لا عن اسئلة طرحهـا من قبلنا ، ولم يعد لها وجود ، بيننا .

فلا يجوز أن يتخرج طالب فى الأزهر لا يعرف زكاة الأسهم أو المصانع أو العمارات ونحوها . فى حين يحفظ زكاة الابل وما فيها من بنت مخاض وبنت لبون وحقة وجذعة ، وليس فى بلده ابل سائمة قط !

ولا يجوز أن يتعمق فى دراسة كتاب « الرقيق والعتق » وما يتبعه من أبواب : المدبر وام الولد والمكاتب ونحوها ، قد ألغى الرق الفردى كله ، على حين يجهل اعمال المصارف (البنوك) وشركات المساهمة والتأمين ونحوها .

والأمثلة فى هذا المجال كثيرة ، وفيما ذكرنـاه ما يغنى عن التطويل .

٢ — أن ندرس الفقه مقرونا بأدلته النقلية ، وتعليلاته العقلية ، مربوطا بحكمة تشريعه ، وأن ترد فيه الفروع الى الأصول ، والجزئيات الى الكليات .

فالفقه الاسلامى — كما هو رأى جمهور الأمة — فقه منطقى معلل ، لا يجمع بين مختلفين ، ولا يفرق بين متماثلين . وهذا فيما

عدا الأمور التعبدية المحضة . كما انه يهدف دائما الى تحقيق مصالح الخلق : الضرورية والحاجية والتحسينية ودرء الشرور والمفاسد عنهم ، أو تخفيفها وتقليلها ان لم يمكن درؤها .

٣ ــ ان نكتبه بلغة يفهمها عصرنا ، من حيث التقسيم والعرض والأسلوب ، واستخدام المعارف العصرية فى بيان أسراره ، وتوضيح مقاصده . والاستفادة مما كتبه المتخصصون فى مجالاتهم المختلفة ، كالاستفادة مما كتبه أهل العلم والطب فى اضرار الخمر ، والخنزير ، وما كتبه الاقتصاديون فى بيان مضار الربا .. وغير ذلك .

ولا يعنى هذا اهمال كتب التراث ، بل لابد من الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح .. والتدريب على قراءة التراث فى الفقه وغيره جزء أساسى من مهمة الأزهر التعليمية .

٤ ــ أن يتعلم طالب الأزهر أن اختلاف المذاهب والمدارس الفقهية، ليس اختلافا ما بين حق وباطل ، انما هى وجهات نظر مختلفة، ناشئة عن اجتهاد يؤجر صاحبه أصاب أم أخطأ . وهذا الاختلاف رحمة بالأمة ، وسعة فى الشريعة ومرونة فى الفقه ، وثروة فكرية وتشريعية لا يعرف قيمتها الا من عايشها . وقديما قال علماؤنا : من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم يشم رائحة الفقه !

٥ ــ أن يكون الفقه مادة حية مرنة ، تتسع لكل حاجات العصر ،

وتغيرات الحياة المتجددة .. واذا كانت الشريعة ـ بنصوصها المحكمة ، وقواعدها الكلية واحكامها القطعية ـ ثابتة لا تتغير ، فان الفقه ـ الذى يعكس فهمنا البشرى لها ، واستنباطنا الأحكام من أدلتها التفصيلية ـ يتغير بتغيرنا نحن البشر : زمانا ومكانا وحالا . ويجب ان يظهر هذا التغير اذا عرضناه فى صورة تأليف او فتوى أو قضاء . نفرق ما بين الشريعة والفقه : ان الشريعة وحى الله ، والفقه جهد المسلمين .

واذا كان كثير من الخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه : ابى يوسف ومحمد قيل فيه : انه اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان ، وان الامام لو رأى ما رأياه لقال بما قالاه ـ مع قرب الزمن بينهما ـ فكيف وبيننا وبين عصور الاجتهاد قرون وقرون ؟

وكذلك كان للشافعى مذهبان : قديم قبل وصوله الى مصر ، وجديد بعد استقراره فى مصر ، وقد رأى فيها ما لم يكن رأى ، وسمع ما لم يكن سمع ، فغير اجتهاده فى كثير من الأمور ، وأصبح مألوفا ان يقال : قال فى القديم ، وقال فى الجديد .

هذا وقد ظلت الحياة فى عصورهم ساكنة لا يكاد يتغير لاحقها عن سابقها ، الا قليلا ، فكيف وعصرنا الحديث قد تغيرت فيه شئون الحياة عما كانت عليه ، تغيرا كبيرا وسريعا ، امتد طولا وعرضا وعمقا ، وشمل شئون الفرد والأسرة والمجتمع فى أموره الاقتصادية والسياسية والادارية والدستورية وعلاقاته الدولية .

ولو افترضنا أحدا من أهل القرون الماضية — بل من أهل القرن الماضى فقط ، بعث من قبره ، ورأى ما نحن عليه اليوم ، لأنكر كل شىء فى حياة الناس ، ولاتهم نفسه بالجنون ، أو اتهم الناس كلهم بالجنون .

وهذا التغير الجذرى يقتضى فقها جديدا ، واجتهادا جديدا ، يتحرك بحركة الحياة ، ولكن لا ينزلق معها .. بل يضبطها بشرع الله .

* * *

● قضية القديم والجديد :

أما قضية القديم والجديد فى الأزهر . فالحق أنها على جانب كبير من الأهمية ، وهى فى حاجة الى اعادة نظر ، فليس كل قديم نافعا ، وليس كل جديد مرفوضا ، على أن الأزهر لا يدرس أفضل القديم . انما يدرس فى الغالب قديم العصور المتأخرة . وكم فى العصور الزاهرة ما هو أخصب مضمونا وأسلس أسلوبا .

ومن هنا لابد من ابقاء القديم فى الأزهر ، ولكن بعد أن نحسن اختياره من أفضل ما عندنا ، من حيث العمق والوضوح والتنوع . على أن يعلم الأزهر أبناءه كيف يقرأون القديم قراءة فهم ووعى تصلهم بالأمس ، ولا تعزلهم عن اليوم ، وبغير هذا يفقد الأزهر نفسه وهويته . فالمعاصرة لا تعنى الغاء القديم كل قديم ، كما أن الأصالة لا تعنى رفض الجديد أي جديد .

فليكن موقفنا وسطا بين دعاة « الجمود » الذين ينادون بأن يبقى كل قديم على قدمه ، وان لم يوجبه شرع ، ولم تقتضـــه

مصلحة ... وبين دعاة « التحديث » الذين يريدون نسف القديم كله ، لانشاء ازهر جديث ليس له من الأزهر الا اسمه !

وانى لأخشى — ان نقدنا التوازن بين القديم والجديد — ان ينبت الأزهر خريجا هجينا لا يحسن قراءة التراث ، كما لا يحسن قراءة العصر ، فلا يعترف به التراثيون لأنه لم يفهم لغتهم ، ولا يقر له العصريون ، لأنه لم يهضم علمهم .

الأزهر الذى نريده هو الذى يجمع بين أنفس القديم ، وأنفع الحديث ، فقدمه راسخة فى القرون الهجرية الأولى ، ورأسه تناطح القرن الخامس عشر .

وأما الجديد فى مناهج الأزهر ، فقد نقل نقلا حرفيا . اما من وزارة التربية والتعليم ، واما من الجامعات المدنية . ومعلوم أن المناهج فى هذه وتلك مثقلة من قديم بالآفات والثغرات ، منذ عهد الاستعمار وتسلطه ونفوذه ، ولم تستطع أن تتخلص من كثير منها الى اليوم ، فكان يحسن بالأزهر الا ينقلها بعجرها وبجرها وحلوها ومرها ، وأن يعمل فيها يد التهذيب والحذف والانتقاء ، فيأخذ منها ويدع وفق روحه وأهدافه ، ويضيف اليها ويهذب فيها تبعا لما تقتضيه رسالته العظمى .

وأخوف ما يخاف على الأزهر : الاقتصار على « المذكرات » التى توضع فيها المعلومات لخدمة « الامتحانات » اى توضع المعارف فى صورة « برشام » كالذى يصنعه الطلبة المتمرسون

بالغش ، ونرق بين « برشلم » الطالب و « برشلم الأستاذ » ان ذاك ملفوف ، وهذا منشور ! لابد من الاجتهاد والجهاد لوضع المناهج والكتب الملائمة لها .

لابد للأزهر اذن أن يراجع قضية القديم والجديد فيه برمتها ، اذا أراد ان يؤدى رسالته الكبرى للمسلمين فى قرنهم الجديد .

ولن يكون الأزهر ازهر اذا كانت معاهده صورة من مدارس وزارة التعليم وكانت كلياته نسخة من كليات الجامعات المدنية .

انما يكون الأزهر ازهر حقا اذا أخذ بأحسن ما فى القديم ، وأفضل ما فى الجديد ، وشق طريقه العلمى فى قوة واستقامة ، متحررا من كل تبعية ، مستقلا عن غيره من الجامعات التى ليس لها مثل رسالته .

يكون الأزهر ازهر اذا خرجت كلياته الأصلية أجيالا قادرة على فهم التراث وافهامه غير معزولة عن الحياة المعاصرة .

وخرجت كلياته الجديدة أجيالا قادرة على فهم العلوم المعاصرة من منطلق اسلامى ، وفى اطار اسلامى ، ولهدف اسلامى .

يكون الأزهر ازهر اذا استطاع أن ينشىء فى العلوم الانسانية والاجتماعية مدارس فكرية اسلامية مستقلة ، غير تابعة للشرق ولا للغرب ، ولا خاضعة لتأثير اليمين أو اليسار ، تستمد فلسفتها من

اصول الاسلام وينابيعـــه الصافية ، بعيدا من غلـــو المتطرفين ، وتحلل المتصرين .

نريد « المدرسة الاسلامية » فى « الاقتصاد » ، المتحررة من تأثير المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الماركسية ، وما بينهما ، وان انتفعت بها كلها وبوسائلها فى البحث والتحليل . وبهذا تتميز (كلية التجارة) فى جامعة الأزهر .

نريد « المدرسة الاسلامية » فى « علم الاجتماع » ، التى تدرس الظواهر الاجتماعية وتحللها من منطلق اسلامـــى خالص ، وفى اطار اسلامى ملون ، لا يستعبدها فكر اليمين فى المدرسة الفرنسية او الأمريكية ، ولا فكر اليسار فى المدرسة الماركسية ، ولا يقف جهدها عنـــد ما سمى « الاجتماع الدينى » . ولا عنـــد التغنى بابن خلدون ومقدمته العظيمة . بل تصنع (خلدونيين) معاصرين ، يصلون الأمس باليوم .

نريد المدرسة الاسلامية فى الفلسفة ، التى تبنى فلسفة اسلامية اصيلة ، تنطلق من محكمات القرآن لا من فلسفة الأغريق ، وتتخذ (معلمها الأول) محمدا رسول الله ﷺ ، وليس ارسطوطاليس ، ولا أفلوطين وتنظر الى اصول الاسلام وقيمه متحررة من التبعية لشرق او غرب ، او زيد او عمرو من ذوى الأسماء الرنانة .

لا نريد أن نشغل العقل الاسلامى المعاصر كثيرا بالمحاولات

(التوفيقية) التى جهد فيها الفارابى وابن سينا ومن تبعهم للملاءمة بين الدين والفلسفة ، أو بين الشريعة والحكمة ، كما قال ابن رشد ، ولا نريد له ان يظل دائرا حول (التهافت) و (تهافت التهافت) ولا أن نضيف اليهما تهافتا ثالثا .

ولا نريد أن نغرق فيما غرق فيه صاحب (التهافت) الامام الغزالى الذى قال فيه تلميذه الامام ابن العربى : شيخنا أبو حامد دخل بطون الفلاسفة ولم يخرج منها !

ان المحاولات التوفيقية لمن عرفوا فى تاريخ الفكر باسم (فلاسفة الاسلام) قد اثبتت عدم جدواها وخصوصا فى الجانب الالهى من التفكير الاسلامى كما سماه أستاذنا المرحوم الدكتور محمد البهى ، فلم يكن معقولا ان تتوافق الوثنية اليونانية ، والتوحيد الاسلامى ، ولم يكن معقولا ان يؤول وحى الله المعصوم ، ليوافق شطحات العقل الاغريقى فى تصوراته الخرافية ، عن الكون والأفلاك ، والعقول العشرة ، والاله الذى لا يعلم الا ذاته ، كما قال ارسطو ، والذى قال عنه « ول ديورانت » : يا لاله ارسطو من اله مسكين ! انه كملك الانجليز ، يملك ولا يحكم !

ولعل إله ارسطو أسعد حالا من اله افلاطون — فقد بلغ به التجريد عنده انه لا يعلم شيئا حتى ذاته نفسها !!

واذا كانت المحاولات التوفيقية قد اخفقت ، فلحق منها بالاخفاق والخيبة المحاولات (التلفيقية) التى قام بها جماعة اخوان الصفا !

وأولى بالفكر المسلم المعاصر أن يستقى فلسفة الاسلام من ينابيعه الصافية ، من قرآنه وسنة نبيه ، ومن فهم الراشدين من خلفائه ، ومن علم المحققين من علمائه ، وبخاصة علماء الأصول منهم ، كما نبه على ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله .

ان مهمة أى فلسفة اسلامية حقيقية اليــوم الا تعيش على اجترار القديم ، ولا تحاول تقليد الحديث . والا تحبس نفسها داخل اسوار مدرسة فلسفية او كلامية أو تفسيرية معينة ، بل ترجع الى الأصول والمنابع ، لتقدم الاسلام سليما بلا حشــو ، شاملا بلا تجزئة ، خالصا بلا شركة ، مبينا بلا غبش ، تغوص فى اسراره وتكشف عن خصائصه ومقوماته ، وتميط اللثام عن أهدافه الكبرى ، وقيمه العليا ، ويحكى نظرته الى الكون ، ومكونه الأعلى ، ونكرته عن الانسان بمادته وروحه ، وعقله وقلبه .. ووجهته المتوازنة فى علاقة الفرد بالمجتمع ، وارتباط الحياة الأولى بالحياة الآخرة .

ومن خلال هذا المنظور الاسلامى المتميز تــدرس فلسفات الشرق والغرب ، الدينية والبشرية ، المثالية والواقعية ، القديمة والوسيطة ، والحديثة والمعاصرة ويحكم لها أو عليها دون كبر ولا انغلاق ، ولا طغيان ولا اخسار ، **((الا تطغوا فى الميزان . واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان))** (١) .

---

(١) الرحمن : ٨ ، ٩

نريد المدرسة الاسلامية فى « علم النفس » فتستخدم كـل الأدوات التى تملكها المدرسة النفسية الحديثة ، من خلال نظـرة اسلامية مستقلة الى الانسان كله : جسما وروحا وادراكا ونزوعا وانفعالا .. مستفيدة من مدرسة « التحليل النفسى » وغيرها دون خضوع مطلق ، ولا تعصب مغلق ، أمام مقرراتها .

نريد « المدرسـة الاسلامية » المستقلة فى التاريخ ، وفى التربية ، وفى الاخلاق وفى الفلسفة ، وفى غيرها من المجالات .

وبهذا نحقق ذاتنا ، ونملأ موقعنا ، ونتبوأ مكانتنا ، ونعبر عن أصالتنا ، ونعطى لاستقلالنا معنى ، ولوجودنا رسالة ، ونصل حاضرنا بماضينا ؛ وتصبح أمة « الألف مليون » جديرة بقول ربها ، ((**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**)) (١)

وليس صحيحا ما يقال : ان هذه العلوم — وان كان الغرب مصدرها — فهى عالية الصيغة ، موضوعية النتائج ، لا تنتسب لغرب ولا شرق ، ولا تنتمى لايمان ولا الحاد .

ففى هذا الكلام تساهل وتجاوز الى حد المغالطة . فالواقع أن العقائد « الايديولوجية » تلعب دورها فى تكييف هذه العلوم ، واستخدامها والاستنباط منها .

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

ولهذا نرى الماركسيين مخالفين على طول الخط للمنطلقات الراسمالية والغربية لهذه العلوم وغاياتها ، وكثير من نتائجها . بخلاف العلوم المادية وتطبيقاتها « التكنولوجية » فهم شبه متفقين عليها . اذ الأصل انها محايدة ليس لها لون .. ولا دين .. ولا نسب معين .

ولكن فلسفة العلوم المادية أو الكونية ، وطريقة عرضها وصياغتها ، تختلف من بيئة لأخرى . وهذا ما ينبغى أن يتنبه له الأزهر خاصة ، والجامعات عامة .

يجب أن تدرس العلوم الكونية فى ظلال الايمان بالله تعالى ، وان تعطى لمسات ربانية تنزع عنها ثوب « المادية » الجحود الذى البسته اياها اوروبا فى عهد هربها من الدين ، ومعاداتها لرجاله .

وأن تعرض القوانين العلمية على أنها « سنن الله فى كونه » وأن الظواهر الكونية كلها من تدبير الله سبحانه ، لا من صنع الطبيعة ، كما يقال .. وأن الوحدة المبثوثة فى المخلوقات التى نشاهدها دليل على وحدانية الخالق الذى انشأها وسواها .

كما يجب أن تدرس العلوم فى جامعة الأزهر باللغة العربية ، التى كتب بها ابن الهيثم والخوارزمى والرازى وابن سينا وابن رشد والزهراوى وابن البيطار .. وغيرهم من عباقرة علوم

الطبيعة والرياضيات والفلك وغيرها ، ولم تضق العربية بشيء ترجموه ، أو شيء ابتكروه . وكانت هى لغة العلم الأولى — بل الوحيدة — فى العالم لعدة قرون .

وقد قام مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، بجهود مشكورة فى وضع المقابـل العربى للمصطلحات العلمية العالمية ، وقامت مجامع شقيقة له فى دمشق وبغداد وعمان ، ومكتب تنسيق التعريب فى الرباط — بجهود طيبة كذلك فى هذا المجال . بل قـام المجمع الأردنى بتعريب عدد من الكتب الشهيرة الأصيلة فى بابهـا : فى الفيزياء والكيميـاء والأحياء والرياضيات حازت اعجاب أهـل الاختصاص ، ودلت على اننا لا ينقصنا الا صدق الارادة ، وتعاون اهل الخبرة ، وتنسيق العمل .

ومن عدة عقود من السنين بدأت جامعة دمشق تجربـة فى ذلك ، ينبغى ان يستفاد منها ، ويبنى عليها ، ويستكمل ما فيها من جوانب القصور .

وان عيبا على أمة العرب — ولديهم اكثر من خمسين جامعة — أن يعجزوا عن تعريب لغة العلم ، وفى العالم أمم دونهم فى الشرق الأدنى والأقصى تكتب العلم بلغتها ، وتدرسه بلسانها .

والأزهر أولى الجامعات أن يأخذ زمام المبادرة ، ويعد نفسه لأداء هذا الواجب نحو لغة القرآن ، ولسان الاسلام ، وبهذا يؤدى خدمة جليلة للعربية وللاسلام وللعلم وللأمة .

وها هى اسرائيل بجوارنا قد استطاعت بتصميمها وحسن تخطيطها أن تجعل من لغتها العبرية – وهى لغة ميتة – لغة علم وتأليف وتدريس .

واغرب من ذلك لغة « رومانيا » من بلاد أوروبا الشرقية ، وهى لغة لا يتكلم بها الا بضعة ملايين نسمة ، فرضتها لغة للعلم والدراسة فى جامعاتها ولم تقل : ان ذلك مستحيل .

* * *

● **مجمع البحوث الاسلامية :**

مجمع البحوث الاسلامية هو الوارث لهيئة كبار العلماء ، ويمتاز عنها – من الناحية الرسمية – بأن له الصفة العالمية ، ويجب أن يكون عدد من اعضائه من كبار علماء العالم الاسلامى .

وهو كما نص قانون التطوير « الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة » .

فهل أدى المجمع هذه الرسالة ، وقام بحق هذه المهمة ؟! وهل يضم من الرجال الأقوياء الأمناء من ينهض بالعبء ؟!

لقد ضم المجمع فى سنواته الأولى عددا لا بأس به من كبار

العلماء الذين شهدت لهم آثارهم بطول الباع فى معرفة القديم وفهم الجديد ، وخصوصا من علماء مصر ، وان كان اخذ عليه انه لم يضم رجالا من عمالقة الفكر عرفهم العالم الاسلامى كله ، من امثال ابى الأعلى المودودي وابى الحسن الندوى ، ومصطفى الزرقا ، ومحمد المبارك ، وغيرهم ممن لم ترض عنهم السياسة المصرية حينذاك .

وهذه النقطة هى موضع الخطر فى تكوين المجمع واختيار أعضائه الى اليوم ، فلا زالت الاعتبارات السياسية المحلية — بجوار اعتبارات داخلية اخرى — هى التى توجه الترشيح وتتحكم فى الاختيار . ولهذا حرم المجمع من شخصيات مصرية وعربية واسلامية ، لها وزنها وقدرها فى ميدان العلم والفكر الاسلامى ، على حين دخل المجمع من لا يعرف له كتاب يقرأ او انتاج يذكر . بل هو كما يقول الفقهاء فى بعض انواع الماء : « طاهر فى نفسه ، غير مطهر لغيره » ! حتى انتهى المجمع اخيرا الى حالة من الركود والرقود ، أشبه ببحيرة من الماء الآسن ! ولم نر لهذا المجمع منذ سنين اية بحوث جادة ، تدل على انه لم يزل على قيد الحياة ! والواجب اعادة النظر فى تكوين المجمع ، حتى تدب فيه الروح ، وتعود اليه الحياة والحركة ، وتعود معه الثقة الى المسلمين فى العالم بالأزهر وعلم الأزهر ، وعلماء الأزهر . اما ان يظل كما هو الآن ، مبنى بلا معنى ، وتمثالا بلا روح ، ينطق العالم وهو صامت ، وتتحرك الحياة وهو ساكن ، فعدمه حينئذ خير من وجوده ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

* * *

خاتمــــة

● مطلوب للأزهر كما هو مطلوب منه :

بقيت وقفة لابد منها لكي ننصف الأزهر .

طالبنا الأزهر بالكثير من الواجبات ، ومن الانصاف أن نطالب له بالحقوق ، فكل واجب يقابله حق .

من حق الأزهر أن توفر له الحرية الكاملة فى اداء امانتــه ، وتطلق يده فى الدعوة التوجيه ، حتى يقول ما يريد لا ما يراد له ، ويعلم ما يوجبه الاسلام لا ما تفرضه السلطة . ويقدم ويؤخـر حسب مراتب الناس فى الدين والعلم ، لا وفق درجاتهم فى القرب من السلطان أو البعد عنه .

لابد أن ترفع الأيدى عن الأزهر ، ويبعد عنه سيف الارهاب وسوط التخويف . فالارهاب لا ينتج الا عبيــدا . اما الأبطال من الدعاة والمربين ، فلا ينتجهم الا مناخ الحرية .

ومن حق الأزهر أن يوفر له المال اللازم ، حتى يقوم بالدعوة والتعليم على مستوى مصر ، ومستوى العالم العربى ، ومستوى العالم الاسلامى . ومستوى العالم الانسانى . وحتى يستطيع مقاومة الخطط الجهنمية ضد الاسلام ، التى يعدها له الشيوعيون واليهود والنصارى .

لقد نشرت الصحف والمجلات أن المبشرين البروتستانت فى امريكا عقدوا فى سنة ١٩٧٨ مؤتمرا لهم فى ولاية « كلورادو » من الولايات المتحدة . أطلقوا عليه «مؤتمر تنصير المسلمين فى العالم» ورصدوا لهذه الغاية « الف مليون دولار » !! وقد اتسمت ابحاثه بالجدية ، وقراراته بالسرية .. ولم يعمدوا فيه الى كثرة الكلام ، بل الى التخطيط والتنظيم .. وقد شرعوا فى التنفيذ ، فوفروا المال ، وأعدوا الرجال . ولا غرو أن أطلق عليه بعض من نشر الخبر عنه « مؤتمر حكماء كلورادو » تشبيها له بمؤتمر « حكماء صهيون » الذى اسفر عن القرارات والبروتوكولات الشهيرة التى كان يظن أنها مغرقة فى الخيال ، فاذا هى تنفذ بالفعل ، على وفق ما أراد واضعوها .

فهل تهيأ للأزهر المال ؟ وهل اعين على اعداد الرجال ؟

ومن حق الأزهر أن يكون أزهرا للمسلمين جميعا لا لمصر وحدها . ومعنى هذا ان يكون له الصفة العالمية الاسلامية لا الصفة الاقليمية المصرية . وهذا يوجب أن يكون للمسلمين رأى فى توجيه الأزهر ، وفى اختيار شيخ الأزهر . وطالما اقترح المخلصون من علماء الأزهر أن يكون شيخه الأكبر منتخبا من علماء المسلمين وليس معينا من سلطة تنفيذية محلية . وبهذا يصبح شيخا للاسلام بالفعل لا مجرد شيخ للأزهر .

ومن حق المسلمين على الأزهر : الا يورط نفسه فى السياسة

المحلية ، وتقلبات أهوائها فيغدو لها تابعا ، بعد ان كان متبوعا ، وسامعا بعد أن كان مسموعا . تطلب منه الفتاوى لتبرير تصرفاتها ، وتوعز اليه بتأييد مواقفها ، ودعم سياستها ، فيسارع الى البيانات ينشرها ، والتهنئات يزجيها . وكثيرا ما يغير الساسة مواقفهم ، فينتقلون من يمين الى يسار ، أو من شرق الى غرب ، أو من حرب الى سلام ، او بالعكس .. ولا يجدون هم فى ذلك حرجا ، فالسياسة عندهم لا ثبات لها ، وهنا يراد من الأزهر أن يحلل ما كان قد حرم ، أو يسقط ما كان قد أوجب ، أو يثبت ما كان قد نفى ... فيستجيب ويفعل ، بدعوى أن اجتهاده قد تغير ! والشعوب لا تصدق هذا ، بل تقول : انه أمر فأطاع ، أو رغب فرغب ، ورهب فرهب ! وبخاصة أن القضية التى هى موضوع الفتوى واحدة ، والظروف هى هى لم تتغير ، والمسرح بقصته وممثليه ونظارته ومديريه لم يتبدل منه شىء !

ومن حق الأزهر ، وحق الاسلام على الساسة والحكام فى مصر : أن ينزهوا الأزهر عن تقلبات السياسة ، والا يورطوه فى مشكلاتهم ، ويعرضوه للتهمة من جماهير المسلمين فى الشرق والغرب ، ويسقطوا من هيبته التى اكتسبها على مر القرون .

ولو أنهم فعلوا ذلك وارتقوا بالأزهر عن دوامة السياسة الاقليمية المتبدلة ، لحفظوا للأزهر مكانته العربية والاسلامية والعالمية ، ولكسبوا بذلك لمصر مكانة عظيمة فى امة الاسلام ، مكانة يحرص عليها كل من كان له لب .

اقول هذا وانا اعلم ان الساسة عندما يخوضون معاركهم مع خصومهم لا يبالون بشيء ، ولا يسمعون لهذه النصائح المثالية ، وانما يجندون كل شيء — حتى الدين ومراكزه ورجاله — للتغلب على خصومهم !

ولهذا يبقى الأمر أمر الأزهر ذاته .. عليه أن يقدر قدر نفسه ، ويضع نصب عينيه قول الله تعالى لرسوله : **((ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين))** (١) .

* * *

---

(١) الجاثية : ١٨ ، ١٩ .

محتويات الكتاب

الصفحة

رقم الايداع ــ ٤٩٨٧ / ١٩٨٤

الترقيم الدولى ــ ٩ ــ ٢٧ ــ ٠٣٠٧ ــ ٩٧٧

هذا الكتاب

● كان الأزهر ـ ولازال ـ وسيظل ـ منارة العلم المضيئة العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها ·· بتراثه وامكاناته وعلمائه وجامعاته التى تخرج الآلاف من الأساتذة والمعلمين ودعاته الذين يحملون دعوة الاسلام الى كل مكان ··

● واذا كان البناء الشامخ ـ بعد مرور أكثر من الف عام ـ يحتاج الى طلاء جدرانه ·· فهو أيضا يحتاج الى « النقد الذاتى » فى الأساليب والمناهج ـ بما يتفق وأسلوب الحياة المعاصرة ·

● وهذا الكتاب « **رسالة الأزهر ـ بين الأمس واليوم والغد** » يسلط الأضواء على الجوانب « الايجابية » للأزهر والأزهريين · ويلقى الضوء على بعض الجوانب « السلبية » ويوضح ما هو « **مطلوب للأزهر كما هو مطلوب منه** » ·

● **والمؤلف** : الدكتور يوسف القرضاوى ـ عالم أزهرى غيور على دينه وداعية اسلامى ـ على مدى أربعين عاما ـ زار خلالها العديد من البلاد العربية والاسلامية وساهم فى كثير من المؤتمرات والجامعات الاسلامية ـ فى طول الأرض وعرضها ··ومن المكابدة والمعايشة ·· يقدم لنا صرخة غيور على أزهريته ·

● وبسر « **مكتبة وهبة** » أن تقوم بنشر هذا الكتاب ـ ليعرف العالم العربى والاسلامى مقدار « **رسالة الأزهر ـ بين الامس واليوم والغد** » وبالله التوفيق ·

مكتبة وهبة